العقلانية

هداية أم غواية

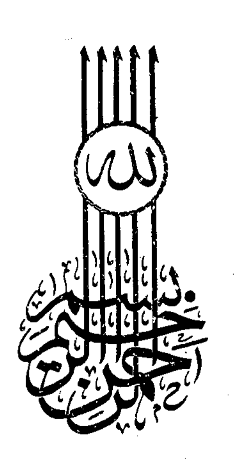
عبد السلام البسيوني

العَقَلانيّة

هِدايَة أمْ غِوايَة

عبد السلام البسيوني

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م


بسم الله الرحمن الرحيم

العقرانية

هداية أم غواية

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

توزيع



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت: ٣٤٧٤٢٣ ص . ب : ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

الإهداء

إلى الموسوعي المجتهد المجدد العلامة

الدكتور يوسف القرضاوي تحية إجلال وحب

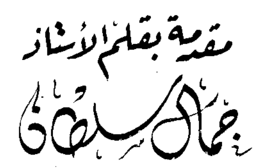
وإلى والديّ رحمهما الله كما ربياني صغيراً

أهدي هذا العمل سائلاً الله القبول والستر

والتوفيق والبركة .. آمين

عبد السلام البسيوني





السمة المميزة لفكر الصحوة الإسلامية تتمثل في حضور استعلاء الإيمان في الخاطر والضمير بصورة لم يعهدها الفكر الإسلامي في رحلة جهاده الحديثة منذ مطلع ما يعرف بالنهضة العربية الحديثة، بهذا الوضوح، وتلك القوة.

وهو استعلاء إيماني راشد، ينطلق من دلائل القرآن الكريم والسنة المطهرة، كما يتعزز بدلائل الواقع الفكري والاجتماعي الذي عاشته الأمة، وعاشته الإنسانية جمعاء في عصرنا الحديث.

لقد كشفت التحولات التاريخية لمسيرة البشر في العصر الحديث عن مبلغ التهافت العقلي والفلسفي، والضلال الاجتماعي، والهشاشة القيمية، والتمزق النفسي، وضياع إنسانية الإنسان رغم ما أحرزه من مكتسبات مادية وفيرة.

لقد تفتحت خواطر الجيل الإسلامي الجديد على هذه الصورة الصارخة، فأدركت الأمة - إذ ذاك - كم فرطت في جنب الله، وحق دينها، وحق نفسها، عندما وقفت أمام الحضارة الحديثة يوماً ما، وهي ترخي جفون الحياء، وتبدي حمرة الخجل، وعندما راح أهل الفكر والعلم من أبنائها، يبدون التودد إلى هذا النسق الحضاري الجديد، ويقدمون التنازلات في العقيدة والفكر والقيم والسلوك والشرائع والقوانين؛ إرضاءً لمواضعات هذه الحضارة، وراحوا ينحتون من بناء دينهم، ويحذفون ويضيفون، ويصبغون ويدهنون، ظنًا منهم أنهم يُقربون دينهم الحق من منارة المدنية والحضارة، ودع عنك من كفروا بدينهم جملة، وخلعوا ربقة الإسلام، وتعروا من هوية دين محمد ﷺ، وهاجروا بأفكارهم وضمائرهم وأهوائهم إلى التيه والضلال.

فأتى فكر الصحوة الإسلامية، ليعيد الاتزان والرشد إلى عقل الأمة ووجدانها، فليس عندنا ما نخجل منه، سوى تفريطنا في جنب الله، وليس في

ديننا ولا حضارتنا ولا تاريخنا ما يجعلنا نحمل مركب النقص المرضي، وعلى الجانب الآخر، فثمة في هذا النسق الحضاري الجديد ما يخجل منه أبناؤه وتخجل الإنسانية كلها أن رضيت به يوماً، وآن الأوان لكي يسمع الناس كلمة الإسلام، وصوت الحق، ونذير الهدى.

وكتابات الأستاذ عبدالسلام البسيوني، واحدة من أبرز شواهد هذا التحول في فكرنا الإسلامي الحديث، فهو لا ينطلق من مواقع الدفاع، لا عن الدين ولا عن الأمة، وإنما من مواقع الهجوم الدافع لكل وجوه الـزور والخداع والتضليل والإفساد والتهويد العقلي والوجداني التي أتت بها الحضارة الحديثة، وأذنابها وعبادها في ديار الإسلام.

هو من ذلك النوع الفريد من كتاب الصحوة ومفكريها، الذي تدرك من أول أسطره أنك أمام مسلم ليس مستعدًّا لتقديم تنازلات، لا يحسن استعمال لغة المساومة الفكرية والحضارية، ولا يجيد فن المداهنة.

وكتاب عبدالسلام البسيوني الجديد، يمتاز بخصيصة حباه الله بها، ويتفرد بها عن كثير من أقرانه من مفكري الصحوة الإسلامية، وذلك أنك تقرأ له المحاورة الفكرية وكأنك تتذوق قطعة من بديع النثر الفني، فسلاسة الأسلوب، وحسن انتقاء اللفظ، وظرافة تركيب العبارة، والعناية الواضحة بتناسق الجمل، تضفي رونقاً أخاذاً على كتابه، وتذلل أمام القارىء رحلة الكتاب الفكرية والحضارية الشاقة. فكأنه يتهادى في رياض الأدب العربي وجنانه.

وكلما قرأت لهذا الكاتب حضر في خاطري أديب العرب ومفكر الإسلام مصطفى صادق الرافعي ـ رحمه الله ـ فبينهما كثير من أوجه الشبه والقربى، ولعل الله يعوض به الأمة فقيدها الكبير.

أحسن الله إلى صاحب هذا المؤلف، كما أحسن في جهاده الفكري، ونفع به الدين والأمة، ووفقه إلى مزيد من العطاء بعونه وحوله وقوته.

جمال سلطان

القاهرة في العاشر من ذي القعدة ١٤١١هـ

٢٤ من مايو ١٩٩١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه .

من الحيل التي يمارسها الغشاشون من الباعة ـ للمزايدة في بضاعتهم التافهة ورفع قيمتها ـ النَّجَشُ الذي تمارسه «عصابة» يتواطؤون على إغلاء السعر أمام شارٍ راغبٍ ، ليغروه بدفع أعلى سعر يمكن أن يدفعه .

وهي حيلة خسيسة حرّمتها السنة المشرفة ، وضرب عليها الفقهاء ، ولا يمارسها فيما نعلم إلا «لاعبو الثلاث ورقات» ومن في مستواهم .

وأزعم أن هنالك نوعًا من النجش الفكري ، يقصد به تمرير قمامات العقول والمعتقدات ، وترويجها بين أناس ليس من المظنون أن يستاموها بله أن يدخلوا سوقها ، لكنهم ينبهرون بتزويق الناجشين ، فإذا بك تراهم وسط السوق يتقممون ، ويبهرهم من البضاعة ما لا يشتريه إلا الحمقى والسفهاء .

ولقد استخدم أهل الغش الفكري مصطلحات ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب ، فرأينا من يتحدث عن الإسلام الاشتراكي ، والإسلام الديمقراطي ـ بل والإسلام اليساري !! ـ ليبتلع الطعم كثيرٌ من الطيبين ويصيروا دعاة له ، دون انتباه إلى أن هذه الألفاظ البراقة عدوٌّ للإسلام على طول الخط : ترفضه ، وتناجزه ، وتمكر به ، وتحرص على اقتلاعه من جذوره .

وآخرة هذه التلفيقات : الدعوة إلى الإسلام العقلاني . وهي أحبولة مزوقة جميلة لا يملك ساذج إلا أن يقبل بها ، حتى لا يتهم بالغباء ، ولأن الإسلام نص في كتابه العظيم ـ في عشرات الآيات ـ على «وجوب» التفكر والتدبر واستخدام

العقل ، و «ألزم» بإعمال النظر في ملكوت السموات والأرض ، وعدم الخرور على الآيات خرور الصمِّ العميان ، بل استقبالها استقبال المتدبرين ، كما أن القلوب التي لا تتدبر الآيات إنما هي قلوب غلفٌ ختم الله عليها فلا تعقل .

لكن المسترخصين في سوق الأفكار كثيراً ما لا ينتبهون إلى أن العقلنة لا تعني ما يتبادر إلى ذهن السامع لأول وهلة ، بل تعني أن يحل العقل محل النص ، وأن يقوم هوى الإنسان مقام هدى الرحمن جل في علاه ، وأن تكون النظريات البشرية حاكمة على القطعيات الربانية ، وهذا ما لا يقبل به عاقل ولا مسلم .

وكما جاء في معجم المصطلحات العلمية - يوسف خياط - فإن العقلانية Rationalism = Intellectualism يراد بها عمومًا المذهب الفلسفي الذي يرى أن كل ما هو موجود مردود إلى مبادىء عقلية ، ويراد بها خصوصًا - وهذا محل كلامنا - الاعتداد بالعقل ضد الدين بمعنى عدم تقبل المعاني الدينية إلا إذا كانت مطابقة للمبادىء المنطقية والنور الفطري Lumiere Naturelle .

وإنني بالبحث لم يخامرني دَهَشٌ ولا عجب حين قرأت أن بذور الدعوة العقلانية بذور يهودية يبرر سارتر الوجودي اليهودي نشرها في العالمين بأن (البشر ما داموا يؤمنون بالدين فسيظل يقع على اليهود تمييز مجحف على اعتبار أنهم يهود ، أما إذا زال الدين من الأرض وتعامل الناس بعقولهم فعقل اليهودي كعقل غير اليهودي ولن يقع عليهم التمييز المجحف)[1] .

وفي زماننا يتاجر بالعقلنة طغمة من المستغربين يحاولون أن يناجشوا بها أهل الفكر الإسلامي ، حتى رأينا الدعوى دائرة على ألسنة فصاح تقية ، سارعت إلى القول بأن الإسلام عقلاني بل هو أبو العقلانية وباري قوسها ، تمامًا كما سارعت

---

١ - مادة عقل ، ط : لسان العرب ، وراجع أيضًا : الإنسان والعقل للدكتور صلاح الدين المنجد ، وقد أفاض في تتبع مادة العقل والتعريف به ، وراجع : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : عقل ، نهى ، حجر ، لب ، بصر ، وقد وردت صيغة عقلوه مرة واحدة ﴿من بعد ما عقلوه﴾ وصيغة تعقلون ٢٤ مرة معظمها على صيغة الرجاء ﴿لعلكم تعقلون﴾ وعلى صيغة الإنكار والتقريع ﴿أفلا تعقلون﴾ وجاءت صيغة يعقلون ٢٢ مرة ، وصيغة يعقل مرة ، ونعقل مرة .

ـ من قبل ـ ألسنة فصاحٌ إلى القول بأنه أبو الاشتراكية ، أو مهد الديمقراطية أو محضن جذور اليسارية (!!)

وأقول لمشايخي وسادتي : حنانيكم ، فالأمر على غير ما تتصورون ، وعلى غير ما تشتهون ، ولا يفوتنكم أن للقوم دينهم ولكم دينكم ، وأن لهم مصطلحاتهم ولكم مصطلحاتكم ، فلا تجعلوا من السراب ماءً سلسبيلا ، فلكم يقهقه من التعجل والتلبيس إبليس .

لقد خرجت ـ تحت وشاح العقلانية ـ دراسات عن العقل العربي وسماته لعدد من المتغربين كالدكتور زكي نجيب محمود (تجديد العقل العربي) والدكتور فؤاد زكريا (خطاب إلى العقل العربي) ود. محمد عركون (الفكر العربي) وغيرهم ممن حاولوا أن يضربوا على هذا العقل العربي ، ويجرّموه ، ويحكموا عليه بالنفي من الأرض لأنه ـ كما زعموا ـ عقل أسطوري غيبي تجزيئي جامد سلفي .

وحتى يتضح القصد وأجتنب سوء الظن أشير إلى أن الناس من العقل على أنحاء ثلاثة :

- صنف نرتضيه ونقبله ونقول إنه على الجادة ، وهم أولئك الذين يوازنون في النظر بين العقل والنقل ، ويدركون أن للعقل مدىً لا يتجاوزه ، وأن للنص أمداءً يتحرك خلالها مع العقل الذي يجتهد رأيه ولا يألو . وهؤلاء عند ربنا سبحانه بين أجر وأجرين كما ورد في السنة الصحيحة .
- وصنف ثانٍ يقعون ـ لاندفاعهم ـ في أحابيل الناجشين أحيانًا ، وينخدعون بطروحاتهم ويقبلونها ويدعون إليها ، مع كونهم من الإسلاميين ، بل ربما كانوا من المجاهدين والرواد . وهؤلاء لا نرى بأسًا أن نخالفهم فيما تورطوا فيه لأنه لا يوجد في ديننا امرؤ أعظم من أن يُرد عليه ، غير سيدنا رسول الله ﷺ .

ولا يعني ردنا عليهم ومخالفتنا لهم أننا نقدح في إخلاصهم وجهادهم ، أو أن ننتقص من أقدارهم ، لكننا أيضا نرفض أن تدعى لهم العصمة ، أو تضفى عليهم قداسة ، فوالله ما أضرَّ بنا إلا ضيق العطن والانزعاج من الخلاف .

- الصنف الثالث نفر من الناجشين الذين يتلعّبون بالمسلمين وعقيدتهم ،

ويتخذون من الدين هزوًا ولهوًا في غير ما مصارحة ولا وضوح . ويتقنعون بأقنعة مكذوبة من الموضوعية والعلمية يمررون من تحتها سمومًا إن تمكنت أجهزت .

وهــذ الصنف قوي مكـين ، بارع في تغيير الأقنعـة واستحـداث القضـايا والشواغل ، وإلهائنا بسراب يحسبه العجلان ماءً ولا يدرك أن في وروده الهلاك . ولا يصدر في فكره إلا عن شرائع عكرة ترى - فيما نرى - أن الدين تطور اجتماعي من إفراز البشر ، وأن الإنسان هو الذي صنع الله - عز وتعالى - وأن القرآن غير مقدس ، والسنة غير معتبرة ، وأن السلف غير صالح ، والخلف - كلهم - لا مكان لهم إلا في المزابل إن اكرموا .

وهم يملأون الدنيا دويًا ، ويقولون للناس : أنتم لستم عقلانيين ، فيتشنج ألف صوت أبحّ يقول : بل الإسلام هو العقلانية والعقلانية هي الإسلام ، ثم ليبدأ السذج في ابتلاع الطعم والتقاط العدوى الخبيثة .

لهذا حاولت - ما استـطعت - أن أبـين معنى العقـلانية في الإسـلام ، وأن أستشف خصائص العقل الإسلامي من خلال فكر الأئمة المرضيين الذين تلقتهم الأمة بالقبول ، وبينت - قدر وسعي - بعض طروحات العقلانيين ومقاصدهم لعلني أكـون نذيرًا ينبه إلى شيء من مكامن الخطر . وسأظل أكرر التحذير من أصحاب الأقنعة ، ولفت أنظار سادتنا العلماء أولاً ، والشباب ثانيًا أن يطلعوا على طروحات هؤلاء ويتابعوها ، وتنشغل طائفة منهم بمواجهتها وتحذير قومهم منها لعلهم يحذرون ، فإن كتبهم تطبع بالعشرات سنويًا ، وتلقى ترويجًا سريعًا . ولا نحس أنها تجد ما تستحق من المتابعة ، اللهم إلا من بعض العناصر الشابة التي نسأل الله تعـالى أن يبـارك فيهـا ، ويثمر جهودها ، ويرزقنا وإياها الإخلاص والسداد والقبول . . آمين .

وهذا الطرح للعقلانية شائك ، قد يغضب بعض الطيبين ، وقد يرتضيه قوم آخرون ، لكنني أطمع أن يرتضيه ربي سبحانه وتعالى ، وأن يتقبل مني صوابه ، ويتجاوز عن خطئي فيه ، وأن يجعله في ميزاني ثقيلا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ،

ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابًا .

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك .

عبد السلام البسيوني

رمضان ١٤١١هـ

إبريل ١٩٩١ م



الباب الأول
الفصل الأول

مدخل وتوطئة

يدور الجذر اللغوي «عقل» على معنى الإمساك والاستمساك والمنع ـ كما جاء باللسان ـ فنقول : عقل البعير بالعقال ، وعقل الدواء البطن ، والحصن معقلٌ ، والدية عقلٌ ؛ لأنها تمنع من سفك دم آخر ، والعقيلة من النساء والدر هي التي تحرس وتصان[1] .

وقد وردت مشتقات «عقل» مكررة في القرآن الكريم ، كما وردت بصيغ أخرى ، كالحِجْر والنهى ، ووجه الحديث للعالمين ولأولي الألباب وأولي النهى والأبصار . كما لفت الأنظار للتدبر والتفكر والاعتبار بصيغ متعددة تفيد لزوم إعمال العقل في التعرف على الله عز وجل والإيمان برسالة محمد ﷺ لا نطيل بإيرادها .

وقد أتى العقل في القرآن الكريم بمعنى العلم والفهم : ﴿**إنا جعلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون**﴾ الزخرف : ٣ ، وبمعنى التمييز بين الخير والشر : ﴿**أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون**﴾ الأنبياء : ٦٧ ، وخاطب العقلاء : ﴿**ولكم في القصاص حياةٌ يا أولي الألباب**﴾ البقرة : ١٧٩ ﴿**إن في ذلك لآيات لأولي النهى**﴾ طه : ٥٤ . كما وردت أحاديث كثيرة في فضل العقل فيها مقال كثير ، وكاد العلماء يتفقون على سقوطها حتى حكم بعضهم ـ كابن القيم في المنار المنيف وكالذهبي وابن الجوزي وغيرهم ـ بأن كل حديث ورد فيه ذكر العقل

---

(1) مذاهب فكرية معاصرة ـ ٥٣٠

وفضله ضعيف أو موضوع .

ولسنا في حاجة للتأكيد على أن الإسلام أمر بالتفكر ، وإعمال العقل ، وعدم تلقي النصوص ببلاهة وغباء أو إعراض وتجاهل ، بل أمرنا أن نستقبلها بحواسنا كلها ، متدبرين معتبرين ، ولقد وصف الله عز وجل عباده بأنهم : ﴿**إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًا وعميانًا**﴾ الفرقان : **٧٣** ، بل يكبون عليها سامعين مبصرين بآذان واعية ، وعيون راعية ، منتفعين بها ، كما حثنا على الادّكار والاعتبار : ﴿**فاعتبروا يا أولي الأبصار**﴾ الحشر : **٢** .

ومعلوم أيضًا أن المسلم لا يكون مكلفًا بأحكام الإسلام ، ولا يقع عليه حساب ولا عذاب إلا إذا كان عاقلاً مختارًا ، لذا جاءت النصوص بإسقاط التكليف عن المجنون والصبي ، وعمن غاب عقله لعارضٍ كالنوم أو الإغماء أو النسيان ، فقد أخرج أحمد وأصحاب السنة عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا : (**رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل**) وهو صحيح الإسناد . وعن أبي ذر مرفوعًا ، عنه ﷺ : (**إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**﴾ رواه ابن ماجه بسند صحيح .

وعن أبي هريرة : (**إن الله تجاوز لأمتي عمّا حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم به**) رواه البخاري .

ولقد وظف المسلمون العقل أحسن توظيف ـ كما سيأتي تفصيله ـ وشادوا حضارة باسقة البنيان شامخة الذرى ، وعمروا الدنيا والآخرة أجمل عمارة ، واستخدموا عقولهم في إبداع العلوم ، وتأسيس أصول الاجتهاد ، وتفريع الفروع ، ومجابهة التيارات المنحرفة ، وقامت مدارس عقلية كمدارس الرأي في الفقه والتفسير ، والدعوة بالمنطق والمعقول في مواجهة الماديين الدهريين والمتفلسفة ، وكان ثمة نوع من التوسط والهدى في استخدام العقل .

ثم لما نسيت هذه الأمة الجهاد ، وحادت عن الصراط المستقيم السوي في بعض فتراتها ، ركنت إلى الترف العقلي ، وبدا على بعضهم الانبهار بالميراث

العقلي اليوناني والفارسي ، كما تدسس بعض الشانئين ـ الدين يريدون هدم هذا الدين وتقويض صُواه ومعالمه تحت شعار العقل والاجتهاد ـ فطعنوا في الدين ، واستحدثوا لأنفسهم عقائد ونحلاً ما أنزل الله بها من سلطان . وطمّ سيل الفرق الهدامة من الباطنية والمتفلسفة ، حتى وجدنا في تاريخ أولئكم

«من يقول بقدم العالم ، ومن جعل النبوة فيضًا فاض من «العقل الفعال» أو غيره ، من غير أن يكون رب العالمين ـ عز وجل ـ يعلم أن له رسولاً معينًا ، ولا يعلم الجزئيات ، ولم ينزل من عنده ملك ، بل زعموا أن جبريل عليه السلام هو خيال يتخيل في نفس النبي ﷺ ـ وهو العقل الفعال» !! ـ[٢] .

ثم جاء إخوان الصفاء ولفقوا دينًا خاصًّا غير ما جاء به محمد ﷺ . وقبلهم ظهر القدرية الذين نفوا القدر وقالوا « **إن الأمر أُنُف** » ، واتسع أمر المعتزلة حتى بات ضررهم أعظم من نفعهم بعد أن صاروا ـ عمليًّا ـ مستبدين متعسفين ـ وعلميًّا ـ عطلوا الصفات وأنكروا الثوابت كالرؤية ، وقالوا بخلق القرآن ، وزعموا أن العبد يخلق أفعال نفسه ، (وأقبلوا على فلسفة اليونان يستلهمونها ، وأعلام يونان يترسمون خطاهم ، وينسجون على منوالهم ، وعلى كتب اليونان يتفهمونها ويهضمونها ، فحكّموا العقل أكثر من تحكيمهم للشرع ، بل جعلوا الأدلة العقلية مقدمة على الأدلة الشرعية فكذبوا ما لا يوافق العقل من الحديث ـ وإن صح ـ وأوّلوا ما لا يوافقه من الآيات ـ وإن وضحت ـ بل حاولوا إخضاع عبارات القرآن الكريم لآرائهم ، وفسروها تفسيرًا يتفق مع مبادئهم ، وقالوا بسلطة العقل وقدرته على معرفة الحسن والقبيح ولو لم يرد بها شرع)[٣] .

وفي أواخر القرن الماضي ومطالع هذا القرن ـ وتحت وطأة كبوةٍ علمية وحضارية وعقيدية واضحة ـ ظهر عدد من رواد التنوير الذين أرادوا أن ينهضوا بالأمة ، وأن يواجهوا سيل الاستشراق الحاقد ، ويردّوا الشبهات التي أثارها ـ بقوة وشراسةٍ ـ

---

٢ ـ شرح قصيدة ابن القيم ، أحمد إبراهيم عيسى ، ج : ٢ ، ص : ١٧ ـ ١٩

٣ـ منهج المدرسة العقلية في التفسير ، ص : ٥٤

عدد من الذيول الموالين للمدارس الغربية من النصارى واليهود وربائب المستشرقين من أبناء الأمة ، فحاول هؤلاء الرواد أن يقولوا للناس إن الإسلام لا يحارب التقدم ولا النهوض المادي والعلمي ، ولا ينافي العقلنة والتطوير .

لكنهم - في أحيان كثيرة - استخدموا في مناهجهم الأسلوب الاعتزالي نفسه ، وأعلوا - في ردّ فعل ملحوظ - من شأن العقل إعلاءً وصل إلى حد الغلو ، حتى قال الشيخ **محمد عبده** في تعميم ومغالطة :

(اتفق أهل الأمة الإسلامية - إلا قليلاً ممن لا ينظر إليهم !! - على أنه إذا تعارض العقل والنقل أُخذ بما دل عليه العقل)[٤] .

واجترأوا على رد الأحاديث الصحاح ، وتأويل آيات القرآن وفق النظرة الاعتزالية ، وحاولوا أن يفرضوا التفسير العلمي - الساذج بمقاييس العقود التي نحياها - على القرآن الكريم ، رغم نسبية المعارف العلمية التجريبية آنذاك . وأثاروا جملةً من القضايا التي لا نزال نعاني من آثارها كفصل الدين عن الدولة ، وعقابيل الدعوة إلى «تحرير» المرأة ، وعلمنة القانون ، وغيرها .

وسوف نطلق على هذه الحقبة «**المدرسة العقلية الوسيطة**» .

ثم ظهرت مدرسة عقلية تبلورت ملامحها في العقود الثلاثة الأخيرة وتأخذ هي الأخرى - باعتدال أحيانًا وبتطرفٍ أحايين - من المدرسة الاعتزالية القديمة والوسيطة ، وتشيد بهما . وهذه المدرسة يمكن أن نقسمها قسمين :

الأول : قسم يظل - رغم تحفظنا الشديد على بعض طروحاته - في إطار الإسلامية والعمل الإسلامي ، وله جهاده ومكانته وفضله ؛ إلا أنه جريءٌ في رد النصوص وتأويلها ، سليط اللسان ، شديد الانبهار بالأفكار الوافدة صراحة أو ضمنًا . وإنما أُتي من جهة اطّلاعه على جانب واحدٍ من الدين ، ومن جهة عدم معرفته المعرفة الحقة بعلوم السلف . ولا نستطيع أن نطعن في إخلاص هؤلاء وصدق نواياهم ، لكنا نأخذ عليهم الجرأة ، وسلاطة اللسان ، وإحياءهم لكثير من الأفكار الاعتزالية المنقوضة .

---

٤ - المرجع السابق .

الثاني : فريق يشبه ـ أكثر ما يشبه ـ التطرف الاعتزالي الغالي ، الذي رد أصول الأمة ، وجرّح الأئمة ، وسفّه المدارس الفكرية التراثية كلها . بل تجاوز هذا في بعض الأحيان إلى ما يدخل في باب الانحراف العقيدي ـ **ونحن نحكم على الرأي والفكر ، وأمر عباد الله إلى الله** ـ حين يشككون في وجود الله تعالى أو في قطعية ثبوت القرآن ، أو يردون السنة كلها ، أو يوالون اليهود والنصارى والبهائيين في تفكيرهم وعوائدهم ، مع بغضهم الظاهر للصحوة ورموزها وشبابها .

> **وبلغت بهم الجرأة إلى حدٍّ أن قال بعضهم : (إن البشرية لم تعد في حاجة إلى من يتولى قيادتها في الأرض باسم السماء ، فلقد بلغت سن الرشد ، وآن لها أن تباشر شؤونها بنفسها . وبعضهم يؤكد على أن النبوة والوحي كانا قيدًا وحجرًا على العقل البشري الذي حرره الإسلام من سلطان النبوة ـ !!؟ ـ من حيث إعلان إنهائها كليةً وتخليص البشرية منها ، وأن كون الشريعة الإسلامية هي خاتمة الشرائع السماوية إنما يعني بلوغ البشرية سنّ الرشد ، بما يعنيه الرشد من رفع وصاية السماء عن البشر)[٥] . .**

ويتسمى هؤلاء في كثير من الأحيان باليسار الإسلامي[٦] والسلفية المستنيرة ، وجعل أحدهم نفسه «مجدد القرن الخامس عشر» رغم أنني سمعت من أحد أكبر علماء الإسلام المعاصرين ـ وفي لقاءين مختلفين ـ رواية عن هذا «المستنير» أنه كان يجري بين طلابه في الجامعة صائحاً : **(يا ولاد : ربنا مات . . ربنا مات)** سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا .

ويصرح بعضهم ـ قبل تراجعه ـ بأنهم امتداد للمدرسة الاعتزالية ـ رغم كونهم أوقح وأجرأ وأكثر سفهًا وتهورًا ـ فنراه يقول عن السلفية المستنيرة إنها (تعلي من شأن العقل ، وتجعله معيارًا وميزانًا حتى بالنسبة للنصوص والمأثورات ، حتى لنستطيع

---

٥ ـ غزو من الداخل ، ٨٧

٦ ـ انظر كتابنا : اليسار الإسلامي ، ط : الأقصى الدوحة ، ١٩٩٠م

أن نقول إن موقفها من العقل والفلسفة **يجعلها الامتداد المتطور لمدرسة المعتزلة** فرسان العقلانية في تراثنا القديم ، ومن ثم فإنه خصم للسلفية المحافظة وليس مجرد مخالف لها)[٧] .

وربما كان من المفيد أن أشير إلى ما ذهب إليه سارتر Sarter ـ **١٩٠٥ ـ ١٩٨٠** ـ وهو يهودي لأنه من أم يهودية ـ في قوله :

(إن اليهود متهمون بتهم ثلاث كبرى هي : عبادة الذهب ، وتعرية الجسم البشري ، ونشر العقلانية المضادة للإلهام الديني) .

ويقول إن التهم الثلاث صحيحة . ثم يبرر نشر اليهود للعقلانية المضادة للإلهام الديني Rationalism as against intuition قائلاً :

إنه ما دام البشر يؤمنون بالدين فسيظل يقع على اليهود تمييز مجحف على اعتبار أنهم يهود . أما إذا زال الدين من الأرض وتعامل البشر بعقولهم ، فعقل اليهودي كعقل غير اليهودي ، ولن يقع عليهم التمييز المجحف)[٨] .

ولا شك أن الفهم السوي ـ كما سيأتي ـ متوازنٌ يضع العقل في نصابه ، كما يضع النص في نصابه ، ويفلت ـ بإيمانه ـ من إسار الانبهار ، ولا يسلم زمامه للنظريات اللقيطة التي تتوسل للناس بالشبهات والشهوات .

ولا شك أن العطالة في التفكير والانحراف به إلى مناهج غير سوية تنتج من مصدر أساسي له أعراض تدل عليه . (والمصدر الأساسي للعطالة هو العقيدة العبثية في الوجود والكون . وهذه العقيدة العبثية تتجلى في عدم رؤية النظام ،

---

٧ ـ سيأتي معنى السلفية في مفهومهم فيما بعد . تحديات لها تاريخ ، ١٠٧ ومن نجوم هذا التيار : محمد سعيد العشماوي ، ود . محمد أحمد خلف الله ، ود . محمد عركون ، ود . حسن حنفي ، وبعض الرموز التي تقصر قاماتها عن هؤلاء قليلاً . وكلامي قاصر على العقلانيين ممن يكتبون في الإسلام ويمسّونه في كثير من كتاباتهم وإلا فإن كثيراً من العلمانيين والشيوعيين يمكن أن يدخلوا في هذا الباب .

٨ ـ العلامة محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، **٥٣٠**

وعدم رؤية السنن ، وعلاقة الطاقة المفكرة الإنسانية بسنن الكون .

وهذا هو ظن العبثية التي من آفاتها الغفلة والإعراض والتكذيب والهوى وتقليد الآباء)[٩] .

وعن مثل هذه الآفات يتولد الاجتراء ، ورد النصوص والاغترار بالله تعالى ، والانخداع بالذات ، ودخول الهوى الذي يجعل من دعوى العقلنة ـ عند رادّي النصوص ، والمتطاولين على أصول الإسلام ـ يجعلها عطالة وتجمدًا عقليًا ، لا استنارةً وتجديدًا وانطلاقًا عقليًّا . وإفلاتًا من إسار النصوصية كما يزعمون .

وربما كان من المناسب بعد هذه التقدمة القصيرة أن أشير إلى سمات العقل الإسلامي ومواصفاته .

---

٩ ـ جودت سعيد ، حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ١٦٤ وما بعدها .



سمات العقل الإسلامي

قبل نحو خمس سنوات أشار المفكر الفيلسوف الدكتور **رشدي فكار** - في محاضرة له عن تراثنا الفكري وتراث الآخرين - إلى نهاية العمالقة الذين ألّهوا العقل ، وغلوا في تقديره ، ورفعوه إلى آفاق الكمال المطلق ، ورفضوا الأديان كلها ، جاعلين شرائعهم وقناعاتهم مواضعاتٍ بشرية أفرزتها عقول منفعلة محدودة المدى . وممن أشار إليهم **ماركس وإلتوسير ونيتشه وسارتر وجارودي** .

وبدهي أن الآدمي إذا حمّل نفسه ما لا يحتمل فإنه ينوء بحمله ، وقد يقتل نفسه أو يدمر من حوله كما فعل عديد من العباقرة المهاويس الذين اعتدّوا بعقولهم ، وجعلوها فوق وحي السماء وتشريعات الحكيم الخبير .

والواقع خير شاهدٍ وأنصع برهان .

فأما الألماني **كارل ماركس «١٨١٨ - ١٨٨٣»** الذي كان شديد الذكاء إلى حدٍّ جعله يثق كثيرًا في عقله الذي أدى به إلى الإلحاد وإنكار الله عز وجل ، فقد مات ميتةً غامضة ، وبعده انتحرت زوجته وبناته الثلاث ، وكانت إحداهن تمارس الدعارة في الشوارع .

وأما الفرنسي **لويس إلتوسير** - شارح الماركسية ومفسر نظرياتها - فقد أحضر سكينًا ، وبهدوءٍ شديد ذبح زوجته الراقدة بجواره ، ثم ذهب - في غموضه واضطراب عقله - إلى الشرطة ، ليقول بكل برود : لقد قتلت امرأتي ، وهذا السكين يقطر من دمها . وانتهى به الحال إلى المصح العقلي الذي بقي به حتى توفي عام **١٩٩٠**[١٠] .

---

١٠ - ولد بالجزائر في **١٦** أكتوبر **١٩١٨** وعمل أستاذًا في دار المعلمين العليا . وهو الذي شرح نظريات الماركسية . لكن حياته انقلبت رأسًا على عقب حينما قتل زوجته أثناء نوبةٍ عصبية حادة . وقد رفضت المحكمة التي وقف أمامها سنة **١٩٨٢**م نظر الدعوى ، مرتكزةً على جنونه عند وقوع الجريمة ، وبعد إشارة من الرئيس الفرنسي الذي وصفه بأنه «عقل فرنسا» وبدأ إلتوسير منذئذٍ يتنقل بين مختلف المستشفيات العقلية . وعاد إلى الكتابة لكن لازمته معاناة

وأمـا الألمـاني **فريـدريـك نيتشه** «١٨٤٤ ـ ١٩٠٠» الذي كان يقول بنظرية الإنسـان الكـامـل Superman والـذي كان شديد الاعتـداد بعقله وأحكـامـه وتصوراته ، فقد آل به اضطرابه العقلي إلى أنه كان يدخل إلى المدرجات الخالية في الجامعة ـ وكان طلابه ينسحبون من المحاضرات لما يرون من اضطرابه ـ ويقول : أيتهـا الكراسي : تحية . ويبدأ بإلقاء محاضراته على الكراسي والجدران . وظل هكذا حتى أمسكوا به وساقوه إلى مصحٍّ عقلي .

وأما النمساوي اليهودي **فرويد** «١٨٥٦ ـ ١٩٣٩» الذي كان ـ كشأن اليهود أجمعين ـ سبابًا للأنبياء ، قليل الحياء معهم ، يتهمهم جميعًا بأنهم مصابون بنوع من العصاب Neurosis يدفعهم إلى ادّعاء تلقّي الوحي والاتصال بالله تعالى ، فقد مات هو نفسه بالعصاب الذي اتهم به الأنبياء ، كما مات مدمنًا للمخدرات .

وأمـا **سارتر** «١٩٠٥ ـ ١٩٨٠» الروائي الفيلسوف وزعيم المدرسة الوجودية الفرنسية ، والذي كانت نظريته تقوم في أساسها على إنكار الأديان كلها بل وعلى إنكار الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ[١١] فقد أقر على نفسه وعلى نظريته بالفشل والهزيمة حينـما قال وهـو على فراش المـوت : «**ائتوني بقس**» ملغيًا كل فلسفته الوجودية الدهرية الحمقاء .

فلما سأله أحد الصحفيين الموجودين :

دائمة ولا مبالاة عميقة ، حتى إن كثيرين ابتعدوا عنه باستثناء الفيلسوف الكاثوليكي جان جيتـون ، وتـوفي عن ٧٣ عامًـا في ٢٤/١٠/٩٠ في مستشفى لافيرييه في إحدى ضواحي باريس . انظر الراية ٢٥/١٠/١٩٩٠م

١١ ـ قال سارتر للدكتور فكار : إن فكرة الإله فكرة حمقاء ، فرد عليه فكار : يا معلم دعنا نحتكم إلى العقل المجرد ، وإلى المواضعات الفكرية التي وضعناها نحن : هل يصح لإنسان محدود النظرة والذاكرة ، جالس في غرفة صغيرة في ضاحية من ضواحي باريس ، التي هي جزء من أوربا ، التي هي جزء من الأرض ، التي هي مجرد ضاحية صغيرة في مجموعة داخل مجرة تحوي ملايين المجموعات ، والمجرة واحدة من بلايين المجرات في هذا الكون . هل يسوغ ـ بناءً على المنطق الوضعي ذاته ـ أن يحكم إنسان جالس في غرفة أن يقول لا إله ؟

إن المنطق والعقل يقتضيانه أن يجوب الكون كله بمجراته وثقوبه السوداء ، ويفتش فيه ، فإذا لم يجد شيئًا حق له أن يقول لم أجد شيئًا . وسكت سارتر . محاضرة صوتية بالدوحة ، ١٩٨٦م

يا معلم : أين فلسفتك القديمة ؟

قال : **لقد قادتني فلسفتي إلى الهزيمة النكراء .**

ائتوني بقس .

وأفلت **روجيه جارودي** من مثل هذا المصير حينما اتجه نحو الإسلام دارسًا وباحثًا عن الهدى والحقيقة ، فأخضع عقله للوحي ، وانصاع للتنزيل بعد استعلاءٍ عقلي كاذبٍ كان يدفعه إلى رفض الأديان كلها ، وانتهى إلى أن المستقبل للإسلام .

وإذا كان هذا هو مصير غلاة العقلانيين الأوربيين فإن الغلو العقلي الذي سقط في فخاخه بعض مفكري الإسلام قد أدى بهم إلى سقوطٍ أشبه في بعض الأحيان سقوط سارتر ، وفي أحيان أخرى أشبه سقوط نيتشه وألتوسير ، إذ اعتمدوا اعتمادًا واسعًا على عقولهم .

فاخترعوا لأنفسهم دينًا تلفيقيًّا ـ من رقعٍ مختلفة ـ كإخوان الصفا .

أو أنكروا أصلاً من أصول الدين كالقرآنيين .

أو انتهى بهم المطاف إلى ادعاء النبوة ، انطلاقًا من إحساسهم بالتفرد العقلي والامتياز عن سائر البشر .

وأمثلة هؤلاء كثيرة تبدأ بمسيلمة ولن تنتهي برشاد خليفة وأشباهه ، وإنكار السنة لن ينتهي بصبحي منصور ومدرسته .

والاستغراق في ضبابيات التأويل الباطني ، لم ينته بالحلاج وابن عربي .

ورد ميراث السلف لن ينتهي بعركون وأضرابه .

ونقض قواعد الأصول ومحاولة استحداث قواعد جديدة مفتراة من نوع «**الأخذ بروح التشريع لا بنصه**» ، «**وتقديم المصلحة على النص**» ، **وأن** «**العقل هو الأصل الحاكم والأول**» . وقاعدة أن «**شرع المتقدمين علينا حضاريًّا شرعٌ لنا**» أمر ماضٍ لن يتوقف .

والتشكيك في مسلمات تطاول العهد بالتسليم بها كعصمة القرآن والقول بصحة كل ما فيه ، وبكماله وبلوغه إلينا كما أنزل أمرٌ لن ينتهي ـ فيما أتصور ـ

بالعقلانيين الجدد .

وما أُتي هؤلاء ، وما أتي الإسلام من قبلهم - إذا افترضنا فيهم الصدق والحرص على طلب الحقيقة - إلا بسبب من الاعتداد العقلي البالغ ، ومحاولة إزاحة الصفوف المديدة من العمالقة الذين سلفوا ، لاستبدالهم بنمورٍ ورقية ، عقلها مختوم بخاتم الماركسية أو مدرسة التحليل النفسي أو المادية الدهرية ، كما صنعت عقول أسلافهم في مطابخ الفلسفات الإغريقية أو الهندية أو الفارسية ، وكلها ذات أصول تختلف اختلافًا جذريًّا مع الأصول التي قام عليها العقل الإسلامي .

لذلك أرى لزامًا أن نحاول إيجاد مجموعة من الجذور أو الأصول التي صنعت هذا العقل وشكلته . والتي جعلته صالحًا للتفكير والإبداع في الماضي ، وتجعله الآن - إن اعتمد على هذه الجذور - صالحًا وعصريًّا ، وتدفعه لأن يبدع للمستقبل ، ويخترق حواجز المكان والزمان ، لأن قواعد تفكيره تقوم على اختراق هذه الحواجز والانفلات منها .

ومن هذه الخصائص والسمات :

١- عقل مُسَلِّمٌ

ومعنى كونه مسلمًا أنه يعرف حجمه والآفاق التي له أن يتحرك خلالها ، والآفاق المغلقة التي يحظر عليه أن يخترقها أو أن يخطر ذلك بباله .

فهناك مساحات محظورة ، ومساحات مقيدة ، ومساحات مفتوحة تمامًا . وكما تلقي أسلافنا آيات الصفات وفوضوا كيفياتها لله سبحانه وتعالى شأن الراسخين في العلم الذين يقولون ﴿**آمنّا به كلٌّ من عند ربنا**﴾ .

وهذا يجعلنا نصفه أيضًا بأنه عقل متدين .

ليس ميالاً للإنكار والجحود . فهو في المناطق المحظورة حذر وقّاف ، لا يفكر كثيرًا في الاقتراب ، بل هو أميل إلى التسليم والإذعان الكامل للنصوص ، لأنه علم واستيقن أن فهم ما وراء المتشابهات والمساحات المحظورة أمر أكبر من مكنته ، وأبعد من طاقته .

كما أنه - بالنظر والاستقراء - يعلم أن الشرع يستحيل أن يأتي بما يضر أو

يخالف ، ويدري جيدًا أن العقل والقلب إنما يسيران في فلك واحدٍ ، ولا يمكن أن يصطدما أو أن يهدم أيٌّ منهما الآخر ، بل هما ككوكب له قمر تابع ، يدور حوله ، ويرتبط به ، ويقبس منه ، ويحيا بحياته .

وفي الوقت ذاته لا الكوكب ينبغي له أن يدرك تابعه ، ولا التابع سابقٌ كوكبه الذي يدور حوله . والأصل عندنا النص ، والتابع هو العقل الذي يقبس من الوحي ويستفيد .

لكن هذا العقل إذا سمح له في المساحات الدنيوية أو الخلافية أن ينطلق فإن حركته تكون حرة لأقصى حدٍّ ، بشرط ألا يكون خروجٌ منه على ناموس الجاذبية أو التابعية للأصل الأصيل الذي هو الوحي .

وفي هذا المعنى يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى[١٢] :

يبقى أن الوحي والعقل ليسا ندّين ، فأحدهما أكبر من الآخر وأشمل . وأحدهما جاء ليكون هو الأصل الذي يرجع إليه الآخر والميزان الذي يختبر الآخر عنده مقرراته ومفهوماته وتصوراته ، ويصحح به اختلالاته وانحرافاته ، فبينهما - ولا شك - توافق وانسجام ، ولكن على هذا الأساس ، لا على أساس أنهما ندان متعادلان) .

ونبني على كون العقل الإسلامي مسلِّما متدينًا أنه **عقل غيبي** ، يؤمن بما صح من النصوص في شأن الغيب ، فهو لا يردها تحت دعوى الاستحالة العقلية ، ولا يستبعدها بزعم أنها تخالف النواميس الظاهرة ، ويعتقد أن الغيوب والمعجزات تخضع لنواميس وسنن تختلف كليةً عن النواميس والسنن التي تسير عليها قوانين البشر ، ومن هنا كانت معجزات ، ومن هنا كانت من الغيب والمتشابه الذي يمدح الله تعالى المؤمنين به . فإذا أخبرنا القرآن العظيم أن الماء يجوز عليه أن يخرج على سنة السيولة والميوعة إلى حالةٍ أخرى مخالفة ، وأنه انفلق ﴿**فكان كل فِرق كالطود العظيم**﴾ الشعراء : **٦٣** .

١٢ - خصائص التصور الإسلامي ، ص : ٢٠

وأن الإسراء والمعراج وانشقاق القمر ورد العين الساقطة إلى محجرها وتكثير الطعام وحنين الجذع كلها أمور وقعت طبق نواميس غير النواميس المعتادة في حياة البشر[١٣] ـ لذلك كان الأنبياء أنفسهم لا يستطيعون أن يأتوا بمعجزةٍ من عند أنفسهم ، بل كان لا بد لهم أن يسألوا الله تعالى أن يعينهم ويؤيدهم بها . وقد سأل كفار مكة النبي ﷺ جملة من المعجزات ، فذكر لهم أن الأمر ليس بيده ، وأنه ليس له سلطان على خرق النواميس والسنن : ﴿**قل سبحان ربي . . هل كنت إلا بشرًا رسولاً**﴾ الإسراء : **٩٣** ـ إذا أخبرنا القرآن الكريم بشيء من هذه المعجزات ، وإذا صحت بذلك السنة النبوية لزمنا التصديق ، ولزمنا أن نقول سمعنا وأطعنا ، ولزم العقل الإسلامي الإيمان بذلك لأن النصوص به جاءت ، ولأن الأمة به دانت ، ولأن السلف الصالح كانوا على تصديق به وإيمان .

٢ـ عقل أصولي سلفي

فلا يخترع ولا يستحدث لنفسه قواعد يلغي بها الميراث الإسلامي الإبداعي عبر القرون المتطاولة . بل يذهب إلى الاعتراف المطلق بالأصول الكلية :

القرآن الكريم في عصمته وثبوته ، وتقسيمه إلى محكم ومتشابه ، وقطعي الدلالة وظنّيها .

ويحترم **السنة النبوية** ويقوم على خدمتها ، ويعترف ـ بوضوح ـ بما يصح منها على ضوء المعايير التي أسسها الجهابذة ، وتلقتها عنهم الأمة بالقبول ، واستقرت على العمل بها .

ويهتم **بالإجماع** ويفتش عن مواطنه ، ويعتبره أصلاً وركنًا ركينًا من أركان الاجتهاد والنظر .

كما يعترف **بالقياس** أصلاً رابعًا يعطي الاجتهاد الكثير من المرونة ، والتجدد ، والصلاحية لاجتياز العراقيل الزمانية والمكانية .

---

١٣ ـ يميل المعتزلة وأهل العقلنة في جملتهم إلى إنكار المعجزات الحسية ، تحت شبه عقلية واهية ، بل تأولوا الآيات التي فسر دلالاتها النبي ﷺ إلى دلالات أخرى مناقضة كما في إنكارهم رؤية الله تعالى التي صح فيها عن النبي ﷺ أن المؤمنين سيرونه عز وجل كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته ـ اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم يا رب العالمين .

لذلك فإننا على ضوء هذه الخصيصة العقلية الإسلامية نرفض ما يذهب إليه :

- الذين يشككون في القرآن ـ كله ، أو بعضه ولو آية ـ وهذا يشمل :
  - الذين يزعمون أن ثمة مصاحف أخرى غير المصحف الذي بين أيدي المسلمين كما يذهب بعض الروافض .
  - ويشمل الذين يقولون إن هناك نقصًا أو حذفًا في بعض المواضع ، كالذي ذهب إليه بعضهم من أن الأمويين أخفوا آيات تلعنهم كانت موجودة بالمصحف[١٤] ، كما يرفض نظرة الذين يزعمون أن بالقرآن أساطير أو قصصًا يمكن اعتبارها غير حقيقية كما ذهب **طه حسين** في كتابه عن الشعر الجاهلي ، وتشكيكه في وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وكما ذهب **محمد أحمد خلف الله** في أطروحته للدكتوراه عن القصص الفني في القرآن الكريم .

كما يرفض كل الرفض منهج الذين استوردوا مناهج عقلية ماركسية أو وجودية أو علمانية يعرضون عليها كتاب الله تعالى ، ويحاولون أن يطوعوه لظنونٍ عقلية ثبت سقوطها وفشلها .

ولا شك أن لكل علم وكل خطاب ضوابطه وأصوله وقوانينه التي تخصه . ولا يجوز لمغالطٍ أن يلوي عنق العلم لينزل عليه ضوابط أخرى لا تناسبه ، لأنها لم تصنع له .

- كما يرفض هذا الأصل منهج من سموا أنفسهم **بالقرآنيين** الذين يدعون إلى هجر السنة وترك العمل بها وفقًا لشبهات داحضة وخيالات مريضة . وسلكوا لذلك أساليب مختلفة كالطعن في مناهج جمع السنة ، وفي دواوينها ، ورواتها ، وجامعيها .

---

١٣ ـ كتب حسين أحمد أمين في مجلة الدوحة ، يناير ١٩٨٣ ، مقالةً عن أبي لهب يهوذا بني هاشم يشكك في سورة المسد المكية كما ورد في الصحيحين ، ويومىء من طرف خفي بشيء من الطعن في الصحابة الذين جمعوا القرآن ، وقد رد عليه جمع من الغير منهم الشيخ عبد القادر العماري والأستاذ إسماعيل الكيلاني والدكتور كامل زغموت والشيخ عبد الله بن زيد آل محمود . كما رأيت في التحفة الاثني عشرية نصوصًا زعم أصحابها أنها من القرآن الكريم رغم تفاهة ألفاظها وركاكة أسلوبها .

وكالانتقائيين الذين يتعاملون مع هذه السنة بروح الذين قال الله تعالى فيهم :

﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ، ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك ، وما أولئك بالمؤمنين . وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون . وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين . أفي قلوبهم مرض ، أم ارتابوا ، أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ، بل أولئك هم الظالمون﴾ النور : ٤٧ ـ ٥٠

- ويرفض هذا المنهج أيضًا إنكار الإجماع صراحة ، أو إنكاره ضمنًا تحت دعوى صعوبة وقوعه والتحقق منه ، ما دام هذا الإجماع قد ثبت باليقين .

«فإن هذه المواضع الإجماعية في فقهها هي التي تجسم الوحدة الفكرية والسلوكية للأمة ، وتحفظها من عوامل التشتت والفرقة[15] .

وإن القلب ليتمزق حسراتٍ حينما يرى بعض الدعاة يرد هذا الأصل ويسخر من القائلين به ، ويعتبره حديث خرافة يستحيل أن يكون له وجود ، وأن هذا الإجماع مجرد خيال نظري لا يمكن التحقق من حدوثه .

- وكذا لا يقبل العقل الإسلامي رد القياس وإنكاره فإنه كما قال **الإسنوي** :

قاعدة الاجتهاد ، والموصل إلى الأحكام التي لا حصر لها .

وهذا العقل يستوعب ـ بالإضافة إلى الأصول الأربعة الثوابت، حمله س الضوابط الضرورية التي تمنع الشانئين أو الهواة من أهل العقل من فرض وجهات نظرهم ـ تحت مسمى النظر والاجتهاد في الدين ، والرغبة في تطويره وتحديثه ـ كالعلم بالعربية وأصول الفقه ومقاصد الشريعة ، ومعرفة الناس والحياة ، بجانب شرط مهم آخر هو العدالة والتقوى ، مع بعض المعالم والضوابط التي لا بد منها كاستفراغ الوسع في الاجتهاد ، وعدم جعل الظنيات قطعيات ، والوصل بين

---

١٥ ـ د . يوسف القرضاوي ، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ، ص: ٣٦ ، ط : ١ ، دار القلم بالكويت .

الفقه والحديث ، والحذر من الوقوع تحت ضغط الواقع ، والترحيب بالجديد النافع ، ومعرفة روح العصر وحاجاته . وهي شروط تجد تفصيلها في الكتاب القيم : الاجتهاد في الشريعة الإسلامية للدكتور **يوسف القرضاوي** ، والكتب الأخرى المعنية بأصول الفقه .

ويلخص هذه السلفية ما قاله الشيخ **البنا** رحمه الله في رسائله :

«إن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله تبارك وتعالى ، وسنة رسوله ﷺ . وإن كثيرًا من الآراء والعلوم ـ التي اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه ـ تحمل لون العصور التي أوجدتها ، والشعوب التي عاصرتها .

ولهذا يجب أن تستقى النظم الإسلامية التي تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافي ، معين السهولة الأولى ، وأن نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح رضوان الله عليهم ، وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لا نقيد أنفسنا بغير ما يقيدنا الله تعالى»[١٦] .

ولقد أشرت في مقال لي سابق إلى وجود نوع من التشويه المتعمد ، واللّي للألفاظ بإلباسها ثيابًا من الترهيب والتخويف المقصود . وقد نجح خصوم الإسلام نجاحًا واضحًا في تشويه مصطلحي الأصولية والسلفية ، حتى صار كثير منا يحذر حذرًا شديدًا من الاتصاف بهما أو الإشارة إليهما . وهذا من العجب .

وقد أسقطوا مفهومهم الشائه للأصولية الذي يعني الإشارة إلى فرقة من البروتستنت تؤمن بالعصمة الحرفية لكل كلمة في الكتاب المقدس ، ويدعي أفرادها التلقي المباشر عن الله تعالى ويعادون العقل والتفكير العلمي . ويميلون إلى استخدام القوة والعنف لفرض هذه المعتقدات الفاسدة[١٧] .

---

١٦ ـ وفق هذا المفهوم عن السلفية يعرف فضيلة الشيخ الغزالي معناها بأنها نزعة عقلية وعاطفية ترتبط بخير القرون وتعمق ولاءها لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ . . وفهمها للإسلام وعملها له يرتفع إلى مستوى عمومه وخلوده وتجاوبه مع الفطرة وقيامه على العقل ، العربي ، إبريل ١٩٨٣ ، ص ٤٩

١٧ ـ الأصولية في الوطن العربي ، ص : ١٢ ، دار **الوفاء** ، **المنصورة** .

فالأصولية عندنا سيرٌ على الضوابط والقواعد والمعايير العلمية . وهي قبولٌ بالضوابط الكلية الكبرى التي تسير عليها الأمة منذ مبعث رسول الله ﷺ .

والتنكّر لها وتنكّبها يعني العمل بلا ضابط ، والتفكير بلا ميزان ، والسير على غير هدىً ، اللهم إلا ما يستورد مما لا يوافق الهوية ، ويضعنا في أطر التبعية والانحراف .

والسلفية ليست مساحة زمنية بعينها ، وليست مساحة مكانية هنا أو هنالك ، وليست جزءًا ضيقًا من الشمولية الإسلامية ، وإنما معناها الاقتباس والاستفادة وتفحّص آثار السابقين من الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام المقبولين ، بشرط أن نعطيهم أحجامهم الحقيقية ، فلا غلو إلى حد العبادة ، ولا افتئات وإساءة أدب .

وإنما نأخذ منهم ما يفيد ـ وكثير ما هو ـ معتقدين أنهم في الجملة ـ كانوا على هدىً وخير عظيم ، وأنهم كانوا أسلم وأحكم وأعلم[١٨] .

ولا شك أن الأمم الأخرى فيها السلفية والأصولية . فالأوربي شديد الاعتزاز والولع بإحياء ذكرى عظمائه . وهو ـ بكثير من الإصرار والانبهار ـ لا يزال يشيد بأفلاطون وأرسطو وسوفوكليس وأبقراط ، وبالقياصرة وقادة المحاربين ،

---

١٨ ـ إذا قلنا إن الأصولية هي تتبع القواعد التي بنى عليها سلفنا الصالح اجتهاداتهم ، وتلقيها بالقبول والمتابعة ، فإن بعضهم جعل من هذه المسألة فروعًا لا أصولاً ، فقد قسم بعضهم فرق الإسلام إلى أصوليين وفروعيين . وجعل الأصوليين ست فرق هي المعتزلة والصفاتية والقدرية والجبرية والمرجئة الوعيدية والشيعة الخوارج ، وأما الفروعيون فهم المختلفون في الأحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية كالمذاهب الأربعة وغيرها . . وجعل أصول الإسلام ستة هي الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج .

انظر تاريخ مختصر الدول لابن العبري ، ١٢٢٦ ـ ١٢٨٦ ، دار الرائد اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٣ ص : ١٦٤ ـ ١٦٨ والمح تقسيم الدين إلى أصول وفروع وأوائل الذين لفتوا النظر إلى هذا فإن ابن العبري يهودي ابن يهودي .

وبـالشعـراء المتفردين كشكسبير ودانتي وجوته ، ويتمدح بذكر الإلياذة والإنيادة والأوديسـة ، وجمهـورية أفلاطون وأمير مكيافيللي ، ويستشهد بالعهد القديم ، ويتشامخ ببوتشيللي ودافنشي ومايكل أنجلو ورمبرانت .

وحتى «الخـواجـات» من أبنـاء أمتنـا نراهم سلفيين حتى العـظم ، غير أن سلفيتهم أوربية ، فهم أكثـر ولعًـا بآداب اليونـان وبـطولات الـرومان ، وأكثر استشهادًا بالرموز الإغريقية والقبطية والفرعونية والبابلية والآشورية ـ وكلها أبعد في التـاريخ من الإسـلام ـ وحتى إذا فكـروا في البحث عن شيء من التـاريخ «العـربي» يتفاخرون به فإنهم لا يفتشون إلا عن المغموصين والمتهمين كالأسود العنسي والحلاج والسهروردي ، ولا يفتشون إلا عن الفتنة الكبرى !! وثورات الزنج والزط وما شابه ، في الوقت الذي يعتبرون فيه الاعتزاز بأبي بكر وعمر ، ومالك وابن تيميه ، والمتنبي وأبي تمام ، والذهبي وابن حجر ، وأبي حازم وابن عبد السلام ، وصلاح الدين وقطز ، بل وحتى البارودي وشوقي ـ على قرب العهد بهما ـ يعتبرون الاعتزاز بهؤلاء أصولية مرفوضة وسلفية مستهجنة .

وإذا كان أولئكم يذهبون إلى أن «سلفهم» خير وأهدى سبيلاً ، وأجدر بالبعث وتجديد الذكرى ، فإن من الحمق وسفه الرأي أن نقطع نحن جذورنا لنعجب هذا أو ذاك ، وإلا فإنه ـ والله ـ المسخ فالموت والانسحاق .

وإن العقل الإسلامي لوثيق الصلة بهؤلاء السادة الصالحين ، شديد الإعجاب بهم ـ دون غلو أو ادعاء عصمة ـ يأخذ منهم ، ويستهدي بنورهم ، ويقبس من نتاجاتهم ، في إطار من الفخر الذي يجعلنا نقول ما قال الفرزدق :

أولئك آبائي فجئني بمثلهمْ إذا جمعتْنَا يا جريرُ المجامعُ

وهذا المنهج ـ على كل حال ـ لا يعجب الممسوخين والمبرمجين ، الذين يعتبرون التمسك بالنص أو بمفهوم تراثي ، أو توقير الكتاب والسنة تزمتًا وسلفية ورجعية مهما بلغت سماحة أحدنا ومرونته .

وهناك قصة غريبة تدل دلالة فاضحة على مدى الحقد وسوء النية الذي يعتمل في قلوب بعض النـاس تجاه المصـطلحـات الإسـلامية الموقرة ، وحرصهم على

استخدام سياط الإرهاب المصطلحي يشقون بها جلود الرجعيين والمتزمتين والأصوليين السلفيين .

يقول الأستاذ **فهمي هويدي** وهو مرن إلى أقصى حدود المرونة كما سيتضح من الرواية[١٩] :

(نشر لي «العربي» استطلاعًا عن منطقة **«الهونزا»** في أقصى شمالي باكستان ، أعربت في مقدمته عن الأسف لأني وجدت أغلب أهل المنطقة من أتباع الطائفة الإسماعيلية[٢٠] . الذين لم أجد في قراهم مسجدًا واحدًا يذكر فيه اسم الله . وقال لي بعض كبارهم **إنهم يتجهون بقبلتهم ـ عبر قلوبهم ـ إلى حيث يقيم إمامهم في إحدى ضواحي باريس** . وذلك أفضل عندهم من التوجه بالحركات ـ مثلنا ـ إلى قبلة مبنية من الحجر في مكة .

أدهشني وصدمني ما سمعته ، فلم يزد ما كتبته في التعبير عن مشاعري على كلمة **«الأسف»** في حين أن الأمر يحتمل وقد يستوجب ما هو أكثر .

لكن ما رأيته وسمعته لم يكن المفاجأة الوحيدة ، إذا ما إن تم النشر حتى فوجئت بما هو أغرب وأدهى فقد قال لي **أستاذ جامعي كبير المقام** : إن هذا الأسف الذي عبرت عنه **قد يرضي المسلمين المتشددين في حين أنه يزعج كثيرًا . . المسلمين . . الليبراليين ! !**

فسألته عما يقصده ، فكررها على مسامعي قائلاً : إن المسلمين الليبراليين لا يكترثون بمثل تلك الأمور التي عبرت عن أسفي لافتقادها !

---

١٩ ـ العربي ـ العدد ٢٩٣ إبريل ١٩٨٣م

٢٠ ـ الإسماعيلية أصحاب مذهب باطني يعتمد على السرية ويقولون إن للشريعة ظاهرًا وباطنًا ، وتقوم دعوتهم على إبطال الشرائع وانتقاص الدين ، ويعتمدون على تأويل الشريعة على وجه يقوم على قواعد أسلافهم ، ورأسهم في ذلك أحمد بن قرمط وأبو سعيد الجنابي وابنه طاهر الذي دهم المسلمين بمكة يوم التروية فنهب أموالهم وقتل منهم الكثير واقتلع الحجر الأسود ، لدعوتهم مراحل منها الرزق والتأسيس والتشكيك في أركان الإسلام ثم التدليس فالخلع فالسلخ . وزعيمهم الروحي هو أغا خان الحالي الذي يقيم في أوربا ، ولهم نوع نشاط في هذه الأيام وعدد من الشعراء الذين يبثون شيئًا من مذهبهم جهارًا ، ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى كتب الملل والنحل .

ثم أضاف ناصحًا : **كفانا تزمتًا يا أخي .**

عقدت الدهشة لساني فقلت : يبدو أن **الليبرالية عند بعضهم يمكن أن تقودنا إلى درجة يصبح معها الشرك إحدى شعب الإيمان .**

وقال أحدهم إنني كشفت أوراقي ، ففيما تنبىء كتاباتي عن خط «**عصري وتقدمي**» إذا بي أسقط القناع ، وأسجل بيدي اعترافًا بأنني . .

رجعي التفكير ! !

متشبث بالشكليات والمظاهر ! !

وسأل آخر : كيف تدعو إلى العقلانية والتركيز على مضمون الإسلام ومقاصد الشريعة ، وتروج لفكرة التجاوز عن القشور والتفاصيل (! !) ثم تخرج علينا بثياب أخرى ، رأينا فيها التعصب والتعلق بتلك القشور والتفاصيل[٢١] ؟

وفي إحدى الندوات التي شهدتها ببيروت قدم أحد الأساتذة المغاربة بحثًا بعنوان **قراءة في الخطاب السلفي** تدعو في مجملها إلى ضرورة التحلل من كافة «قيود» ذلك الخطاب السلفي . . لأنها تمثل في رأيه العائق الأساسي للتقدم .

وسألته : هل يعد القرآن الكريم داخلًا ضمن الخطاب السلفي ، فامتنع عن الرد ، وقال إنه أوضح مقصده في الورقة المقدمة . . وكان مضمون الورقة يوحي للأسف ـ أيضًا ـ **بأن كتاب الله تعالى ـ في عرف صاحبنا ـ مصنف ضمن الخطاب السلفي المطلوب إلغاؤه** . وكان ذلك اكتشافًا جديدًا بالنسبة لي ، أعقبه اكتشاف آخر لفريق **أكثر اعتدالًا** يخرج القرآن من دائرة التراث ، ويكتفي بالأحاديث النبوية ـ أي يجعلها من التراث الذي يجب إلغاؤه ـ في حين أن ثمة فريقًا ثالثًا ـ تصورناه الأوحد ـ يقصد بالتراث اجتهادات الفقهاء وحدهم . .) .

فانظر أي مدىً يمكن لهؤلاء أن يصلوا إليه في بغضهم لماضينا ومواريثنا وتاريخنا ورموزنا ، وتأملهم وهم يسيل لعابهم أو تنحني هاماتهم إجلالًا إذا ذكر شكسبير أو جوته ، أو دوركهايم وسارتر ، أو جورج صاند وسيمون دو بوفوار ، أو أشباههم من «السلف» الذي لا يشبهنا ولا نشبهه ، ولا يحبنا ولا نحبه ، ولا نرضى عنه ولا

---

٢١ ـ اقرأ في الباب الثاني : الكلام عن القشور واللباب .

يرضى عنا . . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٣ـ مُبْدِع مُتطوّر

ومن سمات العقل الإسلامي أنه مبدع متطور ، يرفض الجمود ، ويكره التبعية ، ويمقت عبادة الآباء والتحجر على شيء باطل ، بل كان من المقاصد التي بعث رسول الله ﷺ لينسفها ويقوض أركانها هدمُ التبعية للآباء على الباطل : ﴿**بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قال : أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم** . . ﴾ الزخرف : ٢٢ ـ ٢٤ .

وقد أُعطي العقل ـ في غير النصوص القواطع والغيوب والمتشابهات ـ حريةً واسعة للحركة ، وتشجيعًا على التفكير والانطلاق . وكان مما عابه الله عز وجل على بعض الكفار وأهل النار أنهم « **لا يفقهون** » وأنهم « **لا يعقلون** » وأنهم لم يستفيدوا من حواسهم وعقولهم فأدت بهم العطالة إلى سقر : ﴿**وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير . فاعترفوا بذنبهم**﴾ الملك ١٠ ـ ١١ .

ولقد مهد الإسلام الطريق أمام العقل الحر والتفكير المنطلق من خلال مجموعة من الضوابط والعلامات منها[٢٢] .

أ ـ رفض التبعية الفكرية والتقليد الأعمى ، والسير مع الناس كيفما يكون المسير ، بل لا بد من الوضوح في الهدف والرؤية والاختيار . يقول الرسول ﷺ فيما رواه الترمذي : « **لا تكونوا إمعة تقولون : إن أحسن الناس أحسنّا ، وإن ظلموا ظلمنا . ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساؤوا فلا تظلموا** » .

ب ـ القضاء على الدجل والشعوذة ، والاعتقاد في الخرافات والأوهام ، وإبطال الكهانة . وإن كل من له بصر بالإسلام ليدرك بجلاءٍ كيف كان السلف

---

٢٢ ـ د . محمود حمدي زقزوق ، دور الإسلام في تطور الفكر الفلسفي ، حولية ٣ ، ص : ٤٩ ، بتصرف شديد واختصار .

- رضوان الله عليهم - حربًا على السحر والكهانة . وكيف حرصوا على عدم السقـوط في شراك الخـرافـات والأوهـام ، وكيف قاومـوا المشعـوذين والدجاجلة . وسيدرك أيضًا دون عناء ما ذكره النبي ﷺ عن إتيان الكهان ، وعن حكم السحرة ، وعن تصديق كل ما يقال ويشاع . وكتب العقيدة ملأى بالكلام عن هؤلاء .

ج - التركيز على المسؤولية الفردية ، وأنـه لا يغني عن الإنسـان أن يسـير مع السائرين أينما اتجهوا ﴿**بل الإنسان على نفسه بصيرة**﴾ . كما جعل الإسلام الأمن على العقل وحفظه واحدًا من المقاصد الأساسية للشريعة التي حرمت كل ما يهدر العقل أو يقيد حريته واختياره ولو كان الفاعل هو الشخص نفسه .

د - حرر الإسلام الفرد المؤمن بعقيدة التوحيد من الخوف المهيمن من السلطة الدينية ، بأن أمر هذه السلطة ألا تشق على المسلمين ، وألا تظلمهم . وبأن أمر الناس أن يقولوا الحق لا يخافون في الله لومة لائم ، ورفع الذي يموت في سبيل رأيه واختياره - في إطار العدل الإسلامي - إلى مرتبة الشهداء حين قال ﷺ : «**سيـد الشهداء حمزة ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**» الطبراني بسند حسن .

وفي هذا المعنى يقول الأستاذ العقاد :[٢٣]

> **أكبر الموانع في سبيل العقل عبادة السلف التي تسمى بالعرف ، والاقتداء الأعمي بأصحاب السلطة الدينية ، والخوف المهيمن لأصحاب السلطة الدنيوية .**
>
> **والإسلام لا يقبل من المسلم أن يلغي عقله ليجري على سنة آبائه وأجداده . ولا يقبل منه أن يلغي عقله خنوعًا لمن يسخره باسم الدين في غير ما يرضي العقل والدين .**
>
> **ولا يقبل منه أن يلغي عقله رهبةً من بطش الأقوياء وطغيان**

---

٢٣ - التفكير فريضة إسلامية ، ٢٤

الأشداء . وهذه الموانع كلها ـ العرف والقدوة العمياء والخوف الذليل ـ إنما تقوم وتبقى قائمة ما هان على الإنسان أن يعيش بغير عقل يرجع إليه في أكرم مطالبه الإنسانية ، وهو صلاح ضميره ، لكنها تزول على الأثر يوم يرجع إلى عقله أمام كل عقبة من عقباتها .

هـ ـ وأزيد على هذه الأربعة شيئًا هامًّا هو أن الإسلام لم يسوّ بين مجتهد ومقلد ، وبين عاقل وغافل ، بل كافأ أهل العلم ـ وهم أهل التفكير وإعمال العقول ـ بأن رفعهم درجات ، بل كان من فضله عز وجل أن جازاهم على اجتهاداتهم واستفراغهم الوسع في التفكير والنظر حتى وإن لم يصلوا إلى الصواب ، وجعلهم يتقلبون بين أجر وأجرين ، وكفي بذلك إعظامًا لشأن التفكير ، ودفعًا للعقل في سبيل الإبداع والنظر والتأمل ، ففي الحديث المتفق عليه : «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**» .

ولعل إبداعية العقل الإسلامي وقابليته الهائلة للتطور والابتكار تتجلى في أكمل صورةٍ في الانفجار المعرفي الهائل الذي حدث في فترة قياسية ، وقت كانت المدنية تتضاعف معارفها كل ألف سنة مرة .

فما إن فتح الله تعالى ـ برحمته ـ أبواب سماوات الوحي ، وما إن تفجر العقل الإسلامي عيوناً من الإبداع والتوفيق العلمي حتى التقى بالوحي على أمرٍ قد قدر ، وفي غضون سنوات قليلة انبجست علوم الحديث «المتون والشروح والرجال والعلل والمصطلح والغريب و . . و . . .» وعلوم القرآن «الرسم والوقف والتجويد والغريب وأسباب النزول والنسخ . . و . . و . . والمدارس المختلفة في الشرح والتفسير» والفقه بمدارسه وكتبه وأصوله وتفريعاته ، وعلوم البحث والمناظرة والمنطق ، وعلوم اللغة «من نحو وصرف وعروض وفقه لغة ودواوين

شعـر وأمثـال ومعـاجم و . . و . . .» والعلوم التجـريبيـة «كـالكحـالـة والـطب والبيطرة والصيدلة والضوء والكيمياء والزراعة» والترجمة لإبداعات اليونان والرومان والفرس والهنود وغيرهم ، والفلسفة والفنون الإسلامية والعمارة . . وغير ذلك من الإبداعات الباهرة التي أفرزت حضارة مادية شامخة على مسـاحـة الـدولة الإسلامية الشاسعة ، وأضاءت مناراتها في الحجـاز والعـراق والشـام ومصر والمغـرب والأندلس وتركيا بحيث يراها كل منصف يريد أن يرى الحق وينطق به .

٤ـ عقل بحّاثة:

طلّاب للحجة والبرهان ، يهتم كثيرًا بالاستدلال ، ولا يقبل الفلسفة ولا القفز إلى النتائج ، ولا الدعوى بدون بينة ، بل يطالب دائمًا بالبراهين والأدلة .

فهو الذي جابه إنكار المنكرين وتعنت المتعنتين ودعاوى المدعين بأن الكلام باللسان لا طائل منه ، بل لا بد من الاحتجاج له بالدليل . وحين كان الكفار يزعمون زعمًا ما كان يكتفي بأن يقول لهم أنتم مخطئون ، بل كان دائمًا يطالبهم بإثبات دعواهم إن كانوا صادقين :

﴿**وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى ، تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾ البقرة : ١١١

﴿**أم اتخذوا من دونه آلهة ؟ قل هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معي وذكر من قبلي**﴾ الأنبياء : ٢٤

﴿**أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقكم من السماء والأرض ؟ أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾ النمل : ٦٤

وهـذا هو المنهج العلمي الصحيح الـذي يقـوم على التـوثيق وعـلى البرهنة والإثبات ، لا على الظنون والتوهمات ، ولا على التخويف الكهنوتي الذي سنّه الأحبـار والـرهبـان الـذين يأكلون أمـوال النـاس بالباطل ، ولا على الإرهاب

المصطلحي والتزييف الذي يتقنع به كثير من المستغربين والعقلانيين .

ولا بد أن يكون الدليل الذي يسوقه أو يساق إليه دليلاً صحيحًا لا يقوم على الظن، ولا يقوم على التزوير أو الاقتطاع ، ولا على نسبة ما لم يقله الناس إلى الناس ، ولا على الكتب التافهة والروايات الساقطة ، ولا كتب الأغاني والحكايات ، أليس هو العقل الذي ابتكر علوم الجرح والتعديل ، والذي اختص بالإسناد إلى الثقة عن الثقة عن الثقة ؟!

٥- عقل حيادي

والعقل الإسلامي بعد ذلك عقل حيادي يطلب الحق من مظانّه ، ولا يمنع المسلم - بعد أن يتحصن ويتشرب قلبه العقيدة الصحيحة - أن يقرأ فيما يشاء ، وأن يطلب العلم ما دام مباحًا غير محرم . وهو يقبل الحق ويقرّ به - وإن كان قائله كافرًا أو عدوًّا - فقرآننا الكريم هو الذي قال : ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾ المائدة : ٨ ، وفي الآثار «الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها» وفي ذلك يقول الإمام الغزالي في حديثه عن مظاهر الخلاف وآفات المناظرة والجدال[٢٤] .

> **التعاون على طلب الحق من الدين . ولكنْ له شروط وعلامات ، منها :**
>
> **أن يكون في طلب الحق كناشدٍ ضالّة ، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه . ويرى رفيقه معيناً لا خصمًا ، ويشكره إذا عرّفه الخطأ وأظهر له الحق ، فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم ، حتى إن امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته إلى الحق وهو في خطبةٍ على ملأ من الناس فقال : أصابت امرأة ، وأخطأ رجل . وسأل رجل عليًا رضي الله عنه فأجابه ، فقال : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كذا وكذا ، فقال : أصبتَ ، وأخطأتُ ،**

---

٢٤ - أصول الحوار ، ٢٧

وفوق كل ذي علم عليم .

وهـذه الخصلة تستتبـع الإصغـاء للآخرين واحترامهم - خصوصًا إذا كانوا مهذبين في الحوار - كما فعل رسول الله ﷺ مع عتبة بن ربيعة حينما جاء إلى النبي ﷺ - كما روى ابن هشام - يقول له : اسمعْ مني أعرضْ عليك أمورًا لعلك تقبل بعضها ، فقال ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع ، فقال عتبة ما أراد ، حتى إذا انتهى قال له ﷺ : أو قد فرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم . قال : فاسمع مني !

كما تستتبع **أيضاً الإقرار بالخطأ عند اللزوم ، والتراجع دون مكابرةٍ** أو تشامخٍ كذوب ، والتوقف عند عدم وجود الدليل أو عند الجهل بالحكم ، «وقد روى عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أنه سئل عن ثمانٍ وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها : لا أدري .

ويروى عن الليث بن سعد رحمه الله أنه قال : لقيت مالكًا في المدينة ، فقلت له : إنى أراك تمسح العرق عن جبينك . قال : عرقت مع أبي حنيفة ، إنه لفقيهٌ يا مصريّ . قال الليث : ثم لقيت أبا حنيفة وقلت له : ما أحسن قول مالك فيك . فقال أبو حنيفة : ما رأيت أسرع منه بجواب صادق ونقد تام »[٢٥] رحمهم الله أجمعين .

٦- عَقْلٌ شُمُوليٌّ

والعقل الإسلامي شمولي ، يتعامل مع الحياة كلها من منظور الإسلام كله ، لا يجزىء ولا يقتطع ولا يلفّق ، ولا يأخذ من دين الله ما يعجبه ويطرح ما لا يوافق هوى نفسه . كما أنه يتعامل على مستوى الدوائر كلها ، فهو يعالج مشاكل العامة والنخبـة - رغم أن هذا المعنى بحـرفيتـه وظـلالـه ليس إسـلاميًّا - والمسلمين والكـافرين . ويعتقد كذلك في شمولية البلاغ والتطبيق . ولذلك فقد حاولت بعض الدعوات المعاصرة أن تفصل مفهوم الشمولية في نظامها فقالت إنها **سلفية سنية صوفية سياسية رياضية علمية ثقافية اقتصادية اجتماعية**[٢٦] .

---

٢٥ - أدب الاختلاف في الإسلام ، ص : ١٢٤

٢٦ - مجموعة الرسائل ، ١٥٤

ولا شك أن الدعوات الجزئية التى تركز على مفهوم واحد أو جانب واحد من الإسلام ـ إذا ظنت أن ما في يدها هو الإسلام الكامل الصحيح ـ لا يكتب لها البقاء والاستمرار .

ولا شك أن أخذ جزء من الإسلام وترك سائره جنوح ما بعده جنوح .

- فاعتباره عبادات فقط أمر يفتريه شياطين العلمنة لإبعاده عن الحياة كلها ، وليتفردوا هم بالتحكم في آفاق الحياة الرحبة بعيدًا عن طهارة الدين ، ولتصفو لهم ثمرات التعليم والإعلام ، والاقتصاد والسياسة وسواها مما للدين به أوثق علاقة .
- واعتباره بعيدًا عن السياسة ومناهج التعليم أمر يحجّم دور الأمة كلها ، لأنها أمة متدينة ، لا تسلم مقاليدها لحفنة من المتغربين الذين لا ودّ بينهم وبين هذا الدين .
- واعتباره روحًا فقط ـ إذا صح التوجه على كل حال ـ أمر مصادم للفطر السوية ، مخالف للنصوص القطعية التي تحدثت عن الإنسان والكون والحياة ، وعن الدنيا والآخرة ، وعن جزئيات التعامل اليومي .
- واعتباره علمًا مجردًا فقط ـ فوق أنه يقسي القلب ـ يدفع بالإنسان إلى أن يكون مجرد وعاء جامدٍ لا حياة فيه ولا حس . وهي دعوة نودي بها في وقت من الأوقات ليتحول الإسلام من كونه دينًا لا نجاة إلا بالاستمساك به ، إلى مجرد ثقافة عامة[٢٧] وأمرٍ تاريخيّ يشبه في تناوله الحضارة الإغريقية أو الفارسية أو الرومانية ،

ويتعامل مع القرآن الكريم على أنه أحافير قديمة ونقوش خلفها السابقون كما خلفوا لنا نقش النهارة ، أو ألواح إيبلا أو حجر رشيد ، ويتعامل مع سيرة الرسول ﷺ كما يتعامل مع سيرة أبي زيد وعنترة وعلى الزيبق ، ويتعامل مع العبادات

---

٢٧ ـ هذه دعوى ينادي بها جمهرة من المستنيرين وكتب فيها غير واحد ، ومنهم الدكتورة سهير لطفي في كتابها رؤية المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر الذي ذهبت فيه إلى الفصل بين الإسلام كدين وبين الإسلام الحضارة والثقافة . راجع جمال سلطان ، غزو من الدخل : ٤٨ ـ ٤٩

على أنها طقوس كالتي يمارسها كهان البوذية في قمم التبت الباردة .

وكأن هذا الدين ليس دين الله تعالى ، وكأنّا لم نخلق لعبادة الله تعالى

ولكن :

وهل يأبق الإنسانُ من مُلْك رَبِّهِ ويهربُ من أرضٍ له وسماءِ

٧- عقل مرن

والعقل الإسلامي عقل مرن يتحرك ما بين الثوابت والمتغيرات ، ويعدل من نظراته واجتهاداته إذا ما دعت إلى ذلك دواعٍ معقولة مشروعة .

وإذا جاز لنا أن نطلق ـ أحيانًا ـ على القانون الوضعي أنه «حمار» أو «أعمى» لصرامته أمام بعض الوقائع ، واضطرار القضاة إلى تنزيل نصوصه كما هي ، فإن هذه النظرة ليست واردة في التكوين العقلي الإسلامي الذي تنوعت مدارسه وأصوله ، والذي تتجدد دماؤه باستمرار نتيجة تجدد الأقضيات والأحداث ، ونتيجة تعدد المواقع والبلدان .

فهو العقل الذي أشار إلى أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال .

وهو العقل الذي يتحرك بين ظاهر النص والقواعد الكلية للشريعة .

وهو العقل الذي يأخذ بمجموع النصوص النازلة في نازلةٍ دون أن يتحجر أمام نص منها ثم يهمل سائرها .

إن سلفية هذا العقل تتجلي أكثر ما تتجلى في اعتماده الثوابت التى لا تقبل النقض والرفض ولا التجاوز ، ومرونته تتجلى في الفروع المتجددة كما نلحظ في تاريخ الفقه والاجتهاد الإسلامي .

وليس التمسك بهذه الثوابت جمودًا ولا تحجرًا ولا تناقضًا مع خصيصة المرونة ، بل هو إقرار واقعي بآدمية الآدمي وربوبية الرب عز وجل ، وتأكيد على محدودية الطاقة المدركة في بني الإنسان . وعليه فإن :

كل ما يتعلق بالحقيقة الإلهية ـ وهي قاعدة التصور الإسلامي ـ ثابت الحقيقة ، وثابت المفهوم أيضًا ، وغير قابل للتغير ولا للتطوير . وحقيقة وجود الله تعالى ووحدانيته ـ بكل إشعاعاتها ـ وقدرته وهيمنته وتدبيره لأمر الخلق وطلاقة مشيئته ، وحقيقة أن الكون كله ـ أشياءه وأحياءه ـ من خلق الله وإبداعه ، أراده الله سبحانه أن يكون فكان ، وليس لشيء ولا لحيّ في هذا الكون أثارةٌ من أمر الخلق .

وحقيقة أن الإيمان بالله تعالى ـ بصفاته التي وصف بها نفسه ـ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره شرط لصحة الأعمال وقبولها .

وحقيقة أن الدين عند الله الإسلام .

وحقيقة أن الناس من أصل واحد .

وحقيقة أن غاية الوجود الإنساني هي العبادة .

وحقيقة أن الدنيا دار ابتلاء وعمل[٢٨] .

كل هذه الحقائق من الثوابت التي لا تقبل النقض في عصر من العصور ، ولا في أمة من الأمم .

وأما المرونة المكتسبة التي يتمتع بها العقل الإسلامي فمن الأحكام الخمسة الأصولية ، ونجدها في الفروع المتجددة في الفقه ، وفي قبوله للخلاف باختلاف الاجتهادات ، وفي اعتماده الإباحة أصلاً للأشياء ، وفي تركيزه على قاعدة التيسير لا التعسير ، وفي تراوح النصوص بين الظنية والقطعية ، وفي تشريعه للرخص والعزائم ، والفرائض والنوافل ، وفي قوله بتغير الفتوى مع تغير الزمان والمكان والحال ، وفي غير ذلك من الملامح التي تكسب هذا العقل إمكانية الاستمرار والديمومة ، وعدم التحجر والانغلاق ، وتفتح أمامه أبواب الاجتهاد والنظر على مصاريعها .

---

٢٨ ـ خصائص التصور الإسلامي ، ص : ٨٥

٨- عقل مستعل

والعقل الإسلامي عقل مستعلٍ :

«يرفض كل عنصر غريب عليه ، ولو كان هذا العنصر اصطلاحًا تعبيريًا من الاصطلاحات التي تقتضيها أزياء التفكير الأجنبية . فكل اصطلاح له تاريخ معين ، وله إيحاءات معينة مستمدة من ذلك التاريخ ، ولا يمكن تجريده من هذه الملابسات والزجّ به في مجال جديد[٢٩]» .

وهو ينظر إلى الجاهليات وإفرازاتها - التي ليست من الحكمة ضالة المؤمن - نظرة استعلاء ، فلا ينبهر ، ولا يحس بالانهزام والركوع أمام الفلسفات والأفكار والتصورات المستوردة ، ولا يحاول أن يستجلب مقاييس وقواعد فصّلت من القماش الماركسي أو العلماني الدهري أو الباطني كما يفعل كثير من «المستنيرين» الذين يحاولون صناعة إسلام من نوع خاص ، ليس فيه شيء من الإسلام[٣٠] الذي جاء به محمد ﷺ .

ولعل روح الاستعلاء هذه كانت واضحة بجلاءٍ لا شك فيه ، في حرص الرسول ﷺ على تنبيه الأمة على مخالفة المشركين وعدم التشبه بهم لأن الموافقة في الظاهر تورث المحبة في الباطن كما قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله .

كما كانت واضحة حين دخل **ربعي بن عامر** رضي الله عنه في بذاذته وفقره وخِرَقِهِ يقول للقائد الفارسي الملتف في الحرير والديباج والذهب والفضة : لقد ابتعث الله تعالى محمدًا ﷺ ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة .

وكان هذا الاستعلاء جليًا لدى **الغزالي وابن تيمية** وأمثالهما ممن كتبوا يفندون أصول الفلسفات اليونانية والفارسية وغيرها .

---

٢٩ - خصائص التصور الإسلامي ، ص : ١٠٧

٣٠ - جمهرة العقلانيين المتطرفين يميلون في طروحاتهم - فيما ألاحظ - نحو العلمانية أو الماركسية الساقطة ويصرون عليها .

وفي المرحلة التي نعيشها من السقوط والانهزام نرى كثيرًا من المنبهرين وقد استحدثوا مواضعات تنسف النصوص والفهوم التي أطبقت عليها الأمة أو كادت . وكثرة احتكاك العقليين بالملل والاتجاهات الأخرى أدت إلى قيام نوع من **التدجين والتطبيع** والود فيما بينهم يجعلهم ينظرون إليهم نظر المشفق المحب ، أو المعجب الذي لا يستطيع أن يعبر بوضوح عن إعجابه أو رفضه ، فيترجم هذا إلى اجتهادات تعفّي على آراء ثوابت أو نصوص قواطع ، ولا يكتفون بهذا أحيانًا - رغم أن أحدهم قد يثاب إذا أخلص النية - بل يعمدون إلى تسفيه وتعيير وسب كل من يستمسكون بالنظرة القديمة «المتزمتة» . فلم يعد الإسلام دين الله وحده في نظر بعضهم ، ولم يعد ابتغاء غيره ضلالاً وكفرًا - كما نص القرآن الكريم - بل صار طلب النصرانية أو اليهودية أمرًا مؤديًا بأصحابه إلى الجنة وربما إلى الفردوس الأعلى كما ذهب إلى ذلك د. **محمد عمارة وفهمي هويدي** ود. **عبد العزيز كامل** ، من طرف ، وكما ذهب **سعيد العشماوي ومحمود أبو رية** من طرف آخر .

ودليلنا على انبهار أولئك ما كتبه بعضهم من مبرر لفهمه لقول الله تعالى : ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ فقالوا بأن اليهود والنصارى - والصابئة - يمكن أن يدخلوا الجنة - بعد مبعث محمد ﷺ - بإيمانهم (؟!) أو أعمالهم ، إذا كان لهم من العطاء المادي أو العقلي ما يشفع لهم في شركهم بربهم ، وقد يرفعهم إلى مراقي السعود وروضات الجنات . وقد أشرت قبل قليل - والمقارنة مطلوبة ومهمة - إلى إفلات المسلمين الأول الذين لم تكن لهم حضارة مادية ملموسة من الانبهار بكنوز كسرى وقيصر ، وقصور الأمراء والقادة ، وثروات الهند والصين ، حتى إن من هؤلاء الفقراء البسطاء المؤمنين من كان يأتي بالقدر العظيم من الذهب والجواهر - لا يلقي له بالاً - ثم يضعه في الغنائم دون أن تحدثه نفسه بأن يختلس منه مثقال ذرة ، لأن ما عند الله في وجدانه خير وأبقى وأعظم أجرًا .

وهذا ما دفعهم أيضًا إلى الكلام في رد حد الردة ، وفي إلغاء الأعمال من مسمى

الإيمان ، ورد آخرون الحدود كلها ـ حتى لا تكون الأمة مجموعة من المشوهين كما يزعمون ـ ورد بعضهم الشعائر والعبادات لأنها قشور أو «إسلام شعبي» !!

واقرأ معي هذا التبرير العجيب الذي كتبه هادم السنة **محمود أبو رية** الذي شهد مجلسًا لبعض المشايخ جرى الحديث فيه عمّن سيدخلون الجنة ومن سيحرمون منها ، فسألهم :

وما قولكم في أديسون مخترع النور الكهربائي ؟

فقالوا : إنه سيدخل النار

فقال لهم : أبعد أن أضاء العالم كله حتى مساجدكم وبيوتكم باختراعه ؟

فقالوا : ولو . . لأنه لم ينطق بالشهادتين .

فقال لهم : إذا كان مثل هذا الرجل العظيم وغيره من الذين وقفوا حياتهم على ما ينفع البشرية جمعاء بعلومهم ومخترعاتهم لا يمكن ـ بحسب فهمكم ـ أن يدخلوا الجنة شرعًا لأنهم لم ينطقوا بالشهادتين أفلا يمكن أن يدخلوها ـ عقلاً ـ بفضل الله ورحمته ؟

ويشبه هذا التبرير تمامًا ما كتبه الأستاذ فهمي هويدي في العربي (٣/١٤٠١هـ) تحت عنوان : المسلمون والآخرون :

لقد سمعت واحدًا من خطباء الجمعة اعتلى المنبر ليحدثنا في أن المسلمين خير أمة أخرجت للناس (هل في ذلك شك ؟!) وذهب به الحماس حدًّا دفعه إلى أن يسفّه غير المسلمين جميعًا ويتهمهم بمختلف النقائص والمثالب ، ثم يدعو الله تعالى في الختام ـ وحوله مئات من المصلين يؤمنون ـ أن يدك بيوتهم ويزلزل عروشهم ويفرق شملهم ويهلك نسلهم وحرثهم .

كنت جالسًا في الصف الأول ، في مسجد فرش بسجاد صنع في ألمانيا الغربية ، وترطب حرارته مكيفات أمريكية ، وتضيئه لمبات تونجرام الهنغارية ، بينما كلمات الخطيب تجلجل في المكان عبر مكبرات للصوت هولندية الصنع . وعندما هبط شيخنا ليؤمنا للصلاة تفرست في طلعته جهدًا لأجد عباءته من القماش الإنجليزي وجلبابه من الحرير الياباني ، وساعته زودياك السويسرية ، وقد وضع

إلى جوار المنبر حذاءً إيطاليًّا لامع السواد[٣١] .

إن الشفيع لأولاء عند الأستاذ هويدي وأبي رية هو هذا الحصاد المادي والنتاج المبهر ، وهو في رأيهما كفيل أن يغفر لهما ما نعلم وما لا نعلم .

ولو كان هذا صحيحًا لكان إيوان كسرى الفخم ، وفلسفات اليونان المدوية ، وأصنام روما دقيقة الصنع ، وحرير الصين والهند النفيس ، وأهرام مصر الباذخة ، لكان ذلك كله أعظم أداة تصد الفتوح الإسلامية الأولى ، بلا جيوش ولا سيوف ولا يحزنون .

لقد نسيا أن الرسول ﷺ أضاء العالم كله ، ومع ذلك فإن اليهود والنصارى - كما جاء في القرآن - ضنّوا عليه بالجنة حين قالوا : ﴿**لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى**﴾ البقرة : ١١١ ، فحرموا منها المسلمين أجمعين بما فيهم رسول الله ﷺ الذي أضاء الدنيا - ليس بمصابيح أديسون ولا بالأحذية الإيطالية - بل بالوحي والتوحيد والعدل . وحرموا منها الصدّيقين والصحابة والتابعين الذين لم يشفع لهم دكّهم لأركان الشرك والوثنية .

ولقد نسي هؤلاء جميعًا أن المعايير أبعد من القشرة المادية ، بل هي قضية عقيدة في المقام الأول .

أو لم يحدد الإسلام - بصرامة - عقيدة الولاء والبراء ، ويؤكد على عدم محبتهم ؟!

هذه جملة من الخصائص التي يتسم بها العقل الإسلامي ، يمكن أن نلمح غيرها لولا خشية الإطالة ، وإنما همّنا لفت النظر إلى القضية والإعذار والبلاغ .

---

٣١ - العصريون : ص : ١٠٨ وهو كتاب صغير كبير القيمة والفائدة ، ونوصي القارىء الكريم بالاطلاع عليه لأنه يعمق الموضوع الذي نطرحه في هذا الكتاب ، **نشر دار الوفاء ، المنصورة** .

الفصل الثاني

ضوابط العقل الإسلامي

أولاً: المنهجية

كنت في جلسة مع أحد أهل الفضل نتناقش حول بعض مظاهر الاعتساف في التعامل مع السنة المشرفة ، وانتشار أساليب القفز فوق المنهجية العلمية ، وأبجديات التعامل مع العلوم الإسلامية التي ما أنشأها الهوى ولا شهوة تخليد الذكر ، والتي أبقاها فضل الله تعالى ثم الجدّ والدأب والتفاني في محاريب الكتاب والسنة ، واستماتة «الجهابذة» الذين حدثنا عنهم قبل بضعة عشر قرنًا العالم المجاهد **عبد الله بن المبارك** رحمه الله تعالى .

وفي معرض الحديث ذكر الشيخ حديثَ أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، الذي رواه أبو داود وصححه مرفوعًا :

«ما من أحدٍ يسلّم عليّ إلاّ ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام»[1] .

فقلت له : بناءً على كلامنا السابق فإن هذا الحديث لا يمكن أن يكون صحيحًا ، بل هو حديث خرافة ، وأكذوبةٌ منسوبةٌ للنبي ﷺ ، لأنه لا يوافق المقاييس العلمية ، ولا يخضع لها . . كما أنه لا يهضمه عقلي ! !

فقال : وكيف ذلك ؟

قلت : افترض أن بالأرض الآن مليارًا من المسلمين ، وأن نصف هؤلاء صلوا على النبي ﷺ مرة واحدة في يوم واحد ، أي ما يساوي خمسمائة مليون مرة .

فهل يردّ الله تعالى عليه روحه خمسمائة مليون مرة في يوم حتى يرد على الناس

---

١ ـ انظر : رياض الصالحين ، تعليق رضوان محمد رضوان ، دار الكتاب العربي ، ص : ٤٩٢

السلام ؟ أليس هذا صعبًا . . بل مستحيلاً ؟!!

ثم استطردت : إن هذا الأمر إذا أخضعناه للنظرة المادية السطحية السابقة يبدو مستحيل التصديق ، مرفوضًا عقلاً .

لكن ليس هذا هو الأسلوب الصحيح للتعامل مع السنة المشرفة ، ولا طريقة فهم حديث رسول الله ﷺ .

بل هو هدمٌ لهذه السنة ، وتقويض لمعالمها تحت مسمّى العقلنة وإعمال الدماغ في نصوص الشرع الثوابت .

بل إن التعامل مع النصوص بهذه الطريقة يؤدي في النهاية إلى إنكار القرآن الكريم نفسه ، فقد تحدث عن كثير من الخوارق والمغيبات التي لو أخضعناها لهذه النظرة الغبية لرددنا القرآن الكريم نفسه .

«وهذا الخطأ الجذري المنهجي الذي يتعصب لمصدرٍ معين من مصادر المعرفة البشرية ـ العقل ـ ويحاول أن يسلطه على المصادر الأخرى ، استجابةً للنزعة الحسية هو الذي انتهى بالكثيرين إلى نبذ السنة النبوية كلها ، وإلى الانتقال إلى القرآن الكريم نفسه في محاولة تفسيره تفسيرًا تعسفيًّا مصطنعًا بغية إخضاعه لمنطق العقل ونتائج التجارب المعملية ، ولم يتيسر ذلك لأحدٍ إلا بإنكار غيبيات الدين(٢) .

إننا لا بد لنا أن نسلّم ابتداءً أن هناك حيزًا لا يقترب منه العقل ، وأن هناك آفاقًا يعمل فيها العقل بمقدار ، وآفاقًا أخرى هي للعقل وحده دون منازعةٍ من نصٍّ شرعي ، اللهم إلا بعض القواعد العامة التي تحدد إطارًا كليًّا للصورة دون تدخل في أجزائها وتفصيلاتها .

ونكرر مع الدكتور **أحمد عبد الرحمن**(٣) سؤالنا :

---

٢ ـ أساطير المعاصرين : ١٣٧

٣ ـ المرجع السابق : ١٣٣ ، وسيتضح فيما بعد أن غلاة المدرسة العقلية لم يدعوا لنا شيئًا : السنة والقرآن والتراث . . وحتى وجود الله تعالى نفسه إلا حاولوا نسفه !!

لماذا لا نخضع القرآن الكريم أيضًا لسلطان العقل ، وهو يشارك السّنة في مخالفة العلم التجريبي في عدد من الآيات ـ وقد طالب بعض أساتذة الفلسفة مؤخرًا بشيء من هذا القبيل ـ وإذا لم نخضع القرآن الكريم لمنطق العقل ـ مثل السنة ـ فكيف نحافظ على ثقة الناشئة فيه ؟

إن للتعامل مع النصوص ـ والنصوص الحديثية خاصة لأنها خاضعة لبعض المعايير الاجتهادية ـ أدبًا ينبغي أن يتحلى به صغارنا وكبارنا :

○○ فقبل أن أعالج أي حديث ينبغي أن أستوثق أولاً من ثبوته وصحة إسناده ، من خلال آراء «المختصين» من أهل الذكر الذين قبلتهم الأمة كلها ، واتفقت على تعديلهم وتوثيق أحكامهم ، ومن خلال القواعد شبه المتفق عليها **منذ وضعت علوم الحديث** .

وليس معنى ذلك أننا نجعل أحكامهم مقدسة ـ كما ذهب إلى ذلك غير واحد من العقلانيين ـ بل إن قيمتها الفعلية أتت من تقبل الأمة لهذه الأحكام والأصول التي بنيت عليها على مدار هذه الحقبة الزمانية المتطاولة ، ومن تقبّل واستفادة أعلام الأمة وكبار الأئمة لها ـ وهم من هم عقلاً وعلمًا وورعًا وقبولاً ـ كالأئمة الأربعة وكبار رجالات الحديث **كالبخاري ومسلم وابن حجر والقسطلاني والبغوي والذهبي وأبي زرعة وابن كثير وابن تيمية وابن القيم** رضي الله عنهم جميعًا .

○○ وعلينا كذلك أن ننظر في المتن وفحواه وصحته ـ بعد ثبوت السند ـ وفقًا للمقاييس العلمية الصحيحة .

وأشير هنا إلى أن بعض المعاصرين فجّروا ـ جريًا على أكاذيب المناهج الاستشراقية ـ أكذوبة باردة ، وصدقوها ـ مثل وليمة جحا ـ وصدقها معهم صغار العقول .

وفحوى هذه الأكذوبة أن أهل الحديث ركزوا على القالب أو الوعاء ـ الإسناد ـ وأهملوا المضمون . . أي المتن !!

وعندي أن هذا لا يقوله إلا غافلٌ أو مستغفل للناس :

فالاهتمام المكثف بالمتن لم يكن ـ بأي حالٍ ـ دون الاهتمام بالسند عند السلف

والخلف من المهتمين بعلوم الحديث .

وإلا فلماذا كتبوا عن الحديث الشاذ ؟

ولماذا كتبوا الكتب عن العلل ؟

ولماذا ألّفوا في الناسخ والمنسوخ ؟

ولماذا كتبوا في مختلف الحديث ومشكل الآثار ؟!

ولماذا كتبوا في الغريب ؟!

أليس هذا كله اهتمامًا بالمضمون ، أي المتن ؟!

لقد تناول العلماء السنة بالنقد والفحص والتمحيص ، بغية تصفيتها من كل شائبة ، فالإمام أحمد بن حنبل نقد عددًا من أحاديث البخاري ، والدار قطنيّ نقد عددًا أكبر من البخاري ، كما نقد عددًا من صحيح مسلم ، وناقش هذا النقد علماء كبار ، مثل الإمام **ابن حجر العسقلاني** ، وبمناهج دقيقة وصارمة ، دون مجاملة أو إجحاف وانتهوا إلى أن الصحيحين صحيحان ـ متنًا وإسنادًا ـ إلا ما ندر ، حسب تعبير العسقلاني[٤]» .

○○ ثم إن علينا بعد ذلك أن نجمع طرق الحديث كلها ، والأحاديث الثوابت في الموضوع ذاته ، لنتأمل ما بينها من فروق وزيادات وروايات باللفظ وبالمعنى لنضع في النهاية إطارا واضحًا لفهم النص .

○○ ثم لا بد لنا أن ننظر في النصوص المتعارضة ـ إذا وجدنا شيئًا من التعارض ـ وهذا أيضًا لم يهمله العلماء ، ولم يتركوه ، بل وضعوا له الضوابط والقواعد ، لإزالة التعارض ، ولإعانة كلِّ طالب حقٍّ على الوصول إلى الحق إذا تجرد من هواه .

ومن هذه الضوابط بعد ثبوت صحة الحديث :

○ الأخذ بالحديث ذي الطرق الأصح والأكثر .

○ والأخذ بالحديث المتفق عليه أو على صحته .

○ والمفاضلة بين المتواتر والآحاد .

---

٤ ـ أساطير المعاصرين : ١٤١ .

o والأخذ بحديث الراوي الأفقه أو الشاهد .

o والبحث عن ناسخ أو مخصص أو مقيد صحيح[٥] .

oo ثم ننظر في كلام سلف الأمة وعلمائها العدول المقبولين ، وإلى فهمهم للحديث ـ ولا تطرد صوابية رأي عالمٍ واحد على رأي مائة عالم مثلاً ! !

فإذا اتبع العالِم أو الباحث هذه الطرق كلّها ، ثم كان له بعد ذلك اجتهاد له وجاهته ـ في إطار فقه الخلاف وأدبه ـ فلا بأس أن يقوله ، دون أن يحاول فرضه على الناس بالقوة والإرهاب اللساني ، فإن طبيعة الفكر الحر ـ كما يقول د . زكي **نجيب محمود**[٦] :

> **أن يكون حوارًا متعادل الأطراف ، لا يأمر فيه أحد أحدًا ، ولا يطيع أحد أحدًا إلا بالحق . أما إذا انقلب الوضع فأصبح ما نسميه فكرًا هو أن يأمر آمرٌ ليصدع بأمره مطيع ، واختصِر الطريق الذي كان بين المتحاورين جيئةً وذهابًا ، فبات طريقًا في اتجاه واحد ، أي أن يكون جيئة ولا ذهاب ، أن يكون هبوطًا ولا صعود ، أن يكون قولاً من هناك وسمعًا وطاعة من هنا ، فعندئذٍ قل على الدنيا السلام .**

إن بعض علمائنا صار يفرض استحسانه العقلي لأمرٍ ما ، ضاربًا كل قواعد الأصول والمنهجية بالحذاء ، قائلاً ، والله هذا رأيي . . وفقط . .

أين الدليل ؟! مجرد الاستحسان بالعقل . . أليس هذا تشريعًا والعياذ بالله تعالى ؟!

ألم يقل **الإمام الشافعي** في مثل هذا النمط من الاجتهاد : **من استحسن فقد شرع ؟!**

وإن بعضنا قد ألغى اعتبار قواعد هذا العلم الشريف كافة ـ علم الحديث ـ خضوعًا للتصور الفكري العام ـ أي للرأي ـ محاولاً أن يضفي مسوحًا من

---

٥ ـ يرجع في ذلك إلى باب التعارض والترجيح في كتب أصول الفقه لمزيد من التفصيل .

٦ ـ في تجديد الفكر العربي ، نقلاً عن الفكر الإسلامي بين العقل والوحي ، ص: ٦٠

المشروعية على منهجه الجديد ، باستناده إلى قاعدة الشذوذ[7] في علم الحديث ، انتهى به إلى مبدأ مفاده أن الحديث إذا خالف «التصور العقلي للإنسان» (!!) فله أن يرفضه ويلقي به خلف ظهره مهما كان إسناده ، ومهما كان من صححوه ووثقوه من علماء الإسلام وأئمة الدين ، بل وضح أن الأمر لو كان بيده لمحا أحاديث بكاملها من صحيح الإمام البخاري (!!) ، وعجب أنه ـ أي الصحيح ـ لا يزال يحمل مثل هذه الأحاديث حتى اليوم[8] .

بل إن بعضهم ـ طبقًا لهذه النظرة المشبوهة ـ اعتبر كثيرًا من أحاديث البخاري إسرائيليات مدسوسة ينبغي اكتساحها وتطهير كتب السنة منها !!

وقد تمادى هذا المنهج الباطل حتى رأينا **من يطعن في كرام الصحابة .**

- **ومن يشكك في دواوين السنة الأصلية .**
- **ومن يرّد الأحاديث الصحاح المشهورة اتباعًا للهوى . .**
- **ومن يفسر الأحاديث «على مزاجه» هو ليتخذ من ذلك وسيلة للطعن فيها ، والتشهير بها .**
- **ومن يردد شبهات المستشرقين ترديد الببغاوات وهو لا يدري**
- **ومن يرددها وهو يعلم ويدري !!**

وحتى زعم بعضهم أن حديث : بني الإسلام على خمس ـ وهو من المتواتر المعلوم في السنة بالضرورة حيث يحفظه العامة والخاصة ، والصغير والكبير ، والرجل والمرأة ـ زعم أنه من وضع المستعمرين ، لأنه لم يذكر الجهاد (؟!!)[9] .

والخطير أن الذين كانوا يجترئون على مناهج علوم السنة وغيرها كانوا في الماضي إمّا في خندقٍ معادٍ ظاهر العداوة ، أو في خندقٍ مشبوه ، أو من المغمورين الذين طفت بهم على السطح فرقعةٌ سخيفة .

---

٧ ـ الشذوذ في علم الحديث أن يروي الثقة حديثًا مخالفًا من هو أوثق منه أو ما انفرد به من لا يحتمل حاله قبول تفرده . راجع علم الحديث : لمحمد أديب الصالح والتدريب على التقريب .

٨ ـ انظر : جمال سلطان ، أزمة الحوار الديني ، ص : ٣٠

٩ ـ انظر . د . يوسف القرضاوي ، ثقافة الداعية ، ص : ٦٩

لكن الأمر تعدى هذه الخنادق الآن ، ليدخل في هذا الباب علانيةً ـ أناس لهم أجدريتهم ومصداقيتهم التي أثرت فيها عوامل نشير إليها بإذن الله تعالى فيما يأتي من أبواب .

عَقلَ مَنْ نُحَكّمُ؟

إن إطـلاق يد العقل بحيث يتصرف على هواه ،ووفق رؤيته الخاصة ، التي ينفخ فيها الهوى ، ملغيًا القواعد المتفق عليها من علوم الأصول وآلات المنهجية السديدة ، وبحيث يستعين - كما نرى كثيراً - بالقاعدة إذا كانت له ، ويهملها أو يتـطاول عليهـا إذا كانت عليه ، منهج يدلّ على روح التدليس لا على العلمية أو المنهجية الحيادية .

ثم إن «**العقل** - كما يقول الدكتور **القرضاوي** - **يبطل الاعتماد على العقل**[10]» ، بسبب التفاوت في العقول . . فإذا حكمناه وجعلناه الضابط والمقياس الأوحد ، فعقل من ؟

- هل عقل الخواص أم عقل العوام ؟
- وهل نحكم العقل السلفي أم العقل الصوفي .
- وهل نحكم العقل الأصوليّ أم العقل الفلسفيّ ؟

لقد رأينا الفلاسفة - وهم طائفة واحدة - يختلفون فيما بينهم إلى حدِّ التناقض والتضارب ، هذا يثبت وهذا ينفي ، هذا يبني وهذا يهدم !!

- فمن معه الحق من الفلاسفة ؟

  عقل المثاليين أم الواقعيين أم الماديين أم الإلهيين ؟ .
- وعقل أي جيل نحكّم ؟

  أعقل الأجيال الفاضلة أم الأجيال التي تليهم ؟
- ومن جهة الالتزام وحرية الممارسة :

هل نحكم عقـل المسلم المتميز بهويته ، الحرّ في تفكيره داخل دولته المطبقة للشرع أم عقل المسلم المأزوم الذي تضع ضغوط المعاصرة - بجبروتها وسطوتها - حذاءها على عنقه . وتجره إلى حفرٍ وأطر تفكير تتضارب تمامًا مع منهجه

---

١٠ - في حوار تلفزيوني أجريته معه عام ١٩٨٩

وعقيدته ؟!

- ثم إن للعقل عند استقامته منهجًا ، وعند جنوحه مناهج ومناهج . . والعقل الجاهلي غير العقل الإسلامي .
- فالعقل الجاهلي الأوربي استباح إلغاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ وعبادة نفسه مكان العلي العظيم . .
- والعقل الأوربي الجاهلي استحسن اللواط ونكاح الأمهات والبنات !!
- والعقل الجاهلي العربي استباح وأد البنات ونكاح الاستبضاع !!
- والعقل الذي انحرف عن المنهجية الإسلامية عطل السنة كلها ـ القرآنيون ـ واستحسن إلغاء الإسراء والمعراج بل والمعجزات الحسية كلها .
- وهو الذي أنكر الكثير من المغيبات كالجن والملائكة والسحر والدجال والرؤية وغيرها[11] .

يقول الإمام ابن الجوزي في صيد الخاطر[12] :

«لقد أنس ببديهة العقل خلقٌ من الأكابر أولهم إبليس ، فإنه رأى تفضيل النار على الطين فاعترض .

ورأينا خلقًا ممن نسب إلى العلم قد زلّوا في هذا واعترضوا ، ورأوا أن كثيرًا من الأفعال لا حكمة تحتها ، والسبب هو الأنس بنظر العقل في البديهة والعادات ، والقياس على أفعال المخلوقين» .

بل إن العقل كثيرًا ما أقر الخرافة ، وأضفى المصداقية على كثير من الأباطيل التي يمجها الذوق السليم والفطرة القويمة ، فتراه يقيم الدلائل العقلية على صحة الأعراف والتقاليد أو المثل والقيم أو العقائد والأفكار ، مهما كانت ممعنة في الخرافة والسفاهة ، أو مقرونة بالظلم والقسوة حتى يستريح العقل منها ، وتستريح هي منه ، فلا يكونان في نضال دائم ، وفي عراك دام .

---

١١ ـ سيأتي بمشيئة الله تعالى تفصيل ذلك .

١٢ ـ صفحة : ٤٩١ ط . دار الكتاب العربي ١٩٨٥ م .

فكم دافع العقل اليوناني عن البغاء الرسمي وحرفة المومسات والشـذوذ الجنسي[١٣] الذي ظهر في المجتمع الأغريقي عندما بلغ أوجه في المدنية !!

وكـان من المـدافعـين عن كل ذلـك الذين فلسفوه ، وشقّوا الشعرة في فوائده ومصالحه : كبار فلاسفة اليونان الذين لم يكن يرجى منهم الدفاع عن مثل هذه الرذائل .

وكذلك شأن العقلية الرومانية مع تقليد المجالد Gladiator ومصارعة الإنسان للسباع من الأسود والنمور حتى الموت ـ وفيها من القسوة والضراوة والوحشية ما لا يخفى ـ ولكن العقـل الـروماني قد ذهب كل مذهبٍ في تعليلها وإقامة الدلائل والبراهين على أنها نزهة بريئة ، وتسلية مباحة لأشراف روما وهواة اللهو والمتعة .

وكذلك فقل عن تقليد وأد البنات عند العرب في الجاهلية ، وإحراق السيدات الهنديات لأنفسهن مع أزواجهن ، فقد كان ذلك مؤيدًا بالدلائل العلمية والعقلية في العصر الجـاهلي العربي وفي الحضارة الهندية القديمة والأعراف الأرستقراطية المقدسة في الهند ، قبل أن يلغى هذا التقليد رسميًّا في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي[١٤] .

وينفي العـلامـة **محمـد قطب**[١٥] وجـود عقـل مجرد من الهوى ، متمحضٍ لتمحيص الحقائق ، فإن هذا العقل الحر ـ في صورته المجردة تلك ـ لم يوجد أبدًا في واقع الأمر .

وإن وجد ـ فرضًا ـ فإن البشرية لا تحكم عقلها في جميع أحوالها ، بدليلين

---

١٣ ـ ويقبل هذا العقل المعاصر ، فلقد دافع محمد التابعي عن البغاء الرسمي ، ولا تزال تدافع عنه وعن البغاء الجماعي د . نوال السعداوي ، وخرجت في أمريكا مظاهرة تضم أكثر من ثلاثمائة ألف شاذ يطالبون بمزيد من الحرية للشواذ (اللوطيين) ، وتكلم (ول ديورانت) عن مطالبة النساء بحقهن في مغامرات غير محدودة على قدم المساواة مع الرجال ، وليصبح الاتصال قبل الزواج أمرًا مألوفًا ، وتختفي البغايا من الشوارع تحت منافسة الهاويات لا برقابة البوليس اقرأ : قضية تحرير المرأة من : واقعنا المعاصر للعلامة محمد قطب ص : ٢٥٠ وما بعدها .

١٤ ـ الندوي ، بين الدين والمدنية ، ص : ٥٧ ـ ٥٨

١٥ ـ مذاهب فكرية معاصرة ، ص : ٥٣٢

عقليين :

الأول : أنه لا يكاد ينطبق عقلان من عقول البشرية في تاريخها الطويل كله على تصور واحدٍ بجميع تفصيلاته . ولو كانت العقول بالصورة الوهمية التي تصورها العقلانية لتلاقت وتطابقت لأن الحق لا يتعدد .

الثاني : هو هذا الجنوح الدائم والتخبط الذي تمارسه البشرية ، وتلك الحروب المجنونة ، وذلك الاتباع الجنوني للهوى والشهوات . ولو كانت البشرية تصيخ لنداء العقل في جميع أحوالها ما جنحت ولا تخبطت ولا أصابها الجنون .

نعود إلى السؤال ثانية : **عقل من نحكم ؟**

أعتقد أنه بعد هذا لا مفر لنا من الاعتراف صاغرين بلزوم أن نبدأ بداياتٍ ، أو نقدم مقدمات منهجية سليمة ، لكي نصل إلى نتائج منطقية ومعقولة .

ㅇㅇ ورداً على التساؤل أقول إن العقل الذي ينبغي أن يحكم :

هو العقل المسلح بمناهج تضمن استقامته ، وتضمن سيره على خط لا عوج فيه .

ㅇ العقل غير المضغوط بضغوط المعاصرة ، وغير المتأثر بمناهج تخالف ـ على طول الخط ـ مناهج التفكير الإسلامي ، التي توفق بين الدنيا والدين ، وبين العقل والقلب ، وبين الحس والتسليم ، وبين استخدام النصوص عند ثبوتها ، وإسقاطها عند سقوطها .

ㅇ العقل الذي لم يتشبع بمصطلحات أعشته ، وأفقدته توازنه فجعل يستقبلها كالمنوم ، ثم يرددها ويُلبسها ثياب المشروعية .

ㅇ العقل الذي لا يعرف الهوى ولا التسلط ، ولا فرض الذات ، ولا الاحتكام إلى مواضعات مسبقة ومناهج تُلوى من أجلها النصوص ليًّا ، وتُعتسف الأدلة اعتسافاً .

ㅇ العقل السلفي في أدلته ، العصري في مسائله وعلاجاته وطروحاته ، وفي حلوله للتحديات الجديدة التي تجابهه .

٥ العقل المزكى من الله تعالى ، المرشّد بالوحي ، والمسلح بالبرهان النصي أو العقلي عند اللزوم .

مَتى يتوقف العقل؟

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن :

o هل هناك مساحات ليس من شأن العقل أن يقتحمها أو يتدخل فيها ؟!

o هل هناك آفاق لا يسمح له باجتياز عتبتها ، ليس عن حجر وتضييق ولكن لأنه أقل طاقة وأضعف إمكانية من النظر فيها واقتحام مغاليقها ؟!

oo إن المتفلسفة يقولون : لا فكل الآفاق مستباحة ، وكل الموضوعات نهبٌ لعقولنا . . وتمادى بهم ذلك حتى خلق العقل لهم «آلهة» عجيبة في تكوينها ، غامضة في وجودها وإمكاناتها !!

oo وإن العقلانيين يقولون : لا أيضًا . . لأننا ماديون نؤمن بالمحسوس وما يمكن أن نجري عليه التجارب ، ويخضع لمجاهر الفضول وسهادير النظريات . . وإن ما لا يقع تحت هذا المعيار هو مفقود غير موجود . . حتى . . وإن جاء به القرآن . . والسنة الصحيحة !!

oo لكن المسلمين الذين يملكون الطاقة المتوازنة ، والقابلية للنظر في النصوص والتعامل معها بوعي يقولون :

نعم . . وألف نعم : إن هناك آفاقًا ومساحات لا قبل لعقل الآدمي ـ ومهما كان ـ أن يخوض لججها ، ولا أن يستعرض بحرها .

ففائدة العقل ـ كما يقول **الغزالي**[16] ـ «أن يشهد للنبوة بالتصديق ، ولنفسه بالعجز عن درك ما يدرك بعين النبوة» .

oo امتثالاً لأمر الله سبحانه الذي صرفنا عن النظر فيها ، وأمرنا بترك الجدال حولها بالنصوص المحكمات .

oo وتأمينًا للعقل من الجنوح والانحراف . . وإبعادًا عن سبل الشيطان .

oo واعترافًا ـ واقعيًا ـ بمحدودية هذا العقل ، الذي يثبت بنفسه ـ ككل

---

١٦ ـ الفكر الإسلامي بين العقل والوحي ، ص : ١٦

الحواس والمواهب البشرية ـ أنه محدود وضعيف ، ومحتاج إلى التأييد بالوحي السديد .

٥٥ وإيمانًا بكثير من المغيبات التي تخرج عن السنن العادية ، ولا تخضع للموازين العقلية البشرية ، وإقرارًا بالخوارق والمعجزات التي أيد الله تعالى بها الرسل ، وصحت بها نصوص الكتاب والسنة .

وهذه الآفاق المحظورة متعددة . . ومنها :

١ ـ المغيبات :

يقول الإمام **أبو بكر بن العربي**[١٧] :

إن الزعم بأن العقل قادر قدرة مطلقة على إدراك أو تحصيل جميع المعلومات دعوة حمقاء لا تقوم على سوق ، إذ أنه ليس لنا أن ندعي أن له مكانًا في الإدراك يتيح له أن يحيط بكل شيء بمفرده واستقلاله ، بل إن العقل متواضع ، ومحدود في مجال إدراكه ، إذ يوجد فوقه طور عالٍ عليه لا يقوى على إدراكه ، ولا على أن يطرق بابه . .

وإنما الذين يقدرون على طرق بابه والنفاذ إليه إنما هم الأنبياء ، الذين أوتوا وسائل توضيح حقائقه ، والتعبير عن قانونه .

وإن الدين ـ كما يقول **الدكتور القرضاوي**[١٨] قد يأتي بما يستبعده العقل ، لكن لا يأتي بما يحيله .

فما يأتي به الشرع من غيبيات تتعلق بالعالم غير المنظور من الملائكة والجن والشياطين وأحوال الحياة البرزخية كالحشر والبعث والميزان وما شابه ، على العقل أن يسلم بها ، ما دام الشرع قد جاء بها حتى لو كانت فوق إدراكه وخارج حدود تصوره .

---

١٧ ـ السابق نفسه .

١٨ ـ الراية القطرية . . رمضان ١٤٠٩هـ .

إن كثيراً من المنحرفين خاضوا في الروح[١٩] وفي الساعة التي صرف الله تعالى نبيه عن معرفتها[٢٠] !!

وإن كثيراً من العقلانيين ـ القدامى والمعاصرين ـ أنكروا عذاب القبر ، ووجود الجن ، والملائكة رغم النص القرآني ـ كما سيأتي ـ وأنكروا بعض أحوال يوم القيامة ، وتأولوا الخوارق التي ورد ذكرها في القرآن الكريم كما أنكروا رؤية الله تعالى في الآخرة !!

٢ ـ والقطعيّاتُ :

ومما ينبغي أن يتوقف العقل إزاءه ـ مسلماً راضياً غير متحرج ولا كاره ـ القطعيات ثبوتاً ودلالة . فلا ينبغي لنا أن نناقش سر فرضية الصبح اثنتين ، والعصر أيضاً أربعاً ، والمغرب ثلاثاً . . ولا مقادير زكاة المال : لماذا كانت في النقدين ربع العشر بدلاً من العشر كاملاً ، ولا مقادير الديات ، أو تحريم التبني ، أو منع الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها . . ولا ميراث الولد : لماذا هو على الضعف من ميراث البنت ؟!

بل . . إن جحد ذلك ورفضه كفر ، مخرج عن الملة ، لأنه من جملة المعلومات من الدين بالضرورة ، وإنكارها ـ إجمالاً ـ كفر .

٣ ـ والأركان :

ولا عجب أن أذكرها في جملة الآفاق المحظورة . .

فقد وقعت الواقعة . . وخرج علينا من يطعن في الأركان !!

لقد حدّد كتاب الله تعالى وسنة المصطفى ﷺ الصحيحة أركاناً للإسلام

---

١٩ ـ بادعاء إمكان استحضارها ، أو بتناسخها وغير ذلك من السخافات التي يتعالن بها بعض المنسوبين للعلم الشرعي كعبد الله العلايلي ، وقد أقيمت في بلاد المسلمين جمعيات «أكاديمية» يشرف عليها «دكاترة» للتعامل مع الأرواح والتصرف فيها !!

٢٠ ـ البهائية تزعم أنها ستقوم ـ وفق حساباتهم ـ سنة ١٧١٠هـ ، انظر المسلمون العدد ١١ ـ ٣٠ رجب ١٤٠٥هـ

وللإيمان . . لا مناص لنا من اعتقادها وإلا فإنه الهلاك . .

. فالإيمان برسل الله تعالى ، أوالملائكة ـ بالتفصيل الذي جاء به القرآن وأثبتته السنة الصحيحة ـ أو اليوم الآخر أو بالكتب أو بالقدر . . من المحظورات التي لا يجوز للعقل أن يقتحم أسوارها ليناقشها . . ثم ينهي النقاش في نهاية الأمر . . قائلاً :

ـ أنا آسف . . إذ لم أقتنع بأن هذا الركن لازم ، أو هو من الإيمان الضروري الذي يتحتم عليَّ التسليم به !!

ولا تعجب ، فالعقلانيون لا يرون بأسًا بهذا ، ويعتبرونه تحررًا وانفتاحًا !! انظر إلى حسين **أحمد أمين** الذي لا يرى وجوب الإيمان بقدر الله تعالى ، وهو ركن ركين من أركان الإيمان عند **السلفيين** . . **المتزمتين** . . **غير العقلانيين** !!

ولماذا يا عبد الله ؟!

لأن الإيمان بالقدر عقيدة بدوية[٢١] . .

فحياة البدوي تعتمد اعتمادًا يكاد يكون كليًا على الماء والكلأ .

يجد في الغيث نجاة ، وفي الجفاف هلكة . وكلاهما لا سلطان له عليه ، ولا حيلة له فيه .

فهذه العقيدة البدوية . . انتقلت إلى الإسلام

بعد أن حلت فكرة الله محل الدهر !![٢٢]

﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم . . إن يقولون إلا كذبًا﴾ !!

إنما يحتاج الإنسان لكي يدرك كيف يجْري قدر الله تعالى بخيره وشره أن يكون على مستوى الإله ـ عزّ وجل ـ وذلك أمر لن يكون . .

فالله وحده هو المتفرد بالألوهية والعلم . المحيط بالزمان والمكان والأشياء والأشخاص والأحداث[٢٣] .

---

٢١ ـ لاحظ تسلل هذا المصطلح إلى ألسنة بعضنا عبر حسين أمين وعمارة وعركون . . ولاحظ كيف أثروا حتى على «بعض» كبارنا !!

٢٢ ـ أساطير المعاصرين ، ص: ١٤٤

٢٣ ـ مذاهب فكرية معاصرة ، ص : ٥٣٤

بل إن نصوصًا قطعية في القرآن الكريم ـ كالأمر بالحجاب ، وقطع يد السارق حدًّا ـ صارت هي الأخرى ـ **عقيدة بدوية** . .

« **لا تناسب قاهرة القرن العشرين** »[٢٤] .

إنه التبجح . . والتطاول على مقام الألوهية ﴿**ألا له الخلق . . والأمر**﴾ الأعراف : **٥٤**

وإننا تحت مسمى التطوير الكفور ، والتعالي على نصوص الوحي المعصوم ، وافتراء الكذب على الله تعالى بإحلال الحرام . . وتحريم الحلال . . يمكن أن نستبيح :

ـ **الربا** : لأنه بات ضرورة اقتصادية عصرية تناسب القرن الحادي والعشرين أو بتغليفه باسم الفائدة أو بحجة التضخم أو . . أو . . !!

ـ والزنا : لأننا بتنا نأمن اختلاط الأنساب ببركة التقدم العلمي . . كما أن استباحته أمر عصري يقربنا من «أبناء الله وأحباؤه» وكفى بذلك شرفًا !!

ـ والمسكرات . . لأنها آية تمدنٍ ودليل رقي .

و . . و . . و . .

ويمكننا بهذاالمنهج نفسه . .

ـ أن ننكر البعث والحشر وما بعدهما ـ نسأل الله السلامة من الكفر والزيغ ـ لأن المادة لا تفنى ، ولا تبيد !!

ـ وننكره الصلاة لأنها معطلة تضيع وقت الآدمي ، وتقطع عليه تركيزه في عمله .

ـ وننكره الصيام لأنه تبديد للطاقة ودولنا تحتاج في بنائها لكل سُعر حراري يستهلكه الصيام كما ذهب إلى ذلك متفرنس مخلوع .

ونحرم . . ونحرم . . ونحرم . . لنواكب بالشريعة القرن الحادي والعشرين .

﴿ولو ترى إذ وُقفوا على النار فقالوا :
يا ليتنا نرد ، ولا نكذب بآيات ربنا ،

---

٢٤ ـ أساطير المعاصرين ، ص : **١٥٢**

ونكون من المؤمنين .
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ، ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا
عنه ، وإنهم لكاذبون .
وقالوا : إن هي إلا حياتنا الدنيا ، وما نحن بمبعوثين .
ولو ترى إذ وقفوا على ربهم . .
قال : أليس هذا بالحق ؟!
قالوا : بلى وربنا
قال : فذوقوا العذاب ، بما كنتم تكفرون﴾[٢٥]

٤ ـ والمتشابهات :

ومن المناطق المحظورة أيضًا . . منطقة المتشابه[٢٦] ، من الألفاظ التي استأثر ربنا عز وجل بعلم حقائقها وكيفياتها ، والتي لم تضعنا الشريعة الغراء فيها على عتباتٍ أو مداخل محددة .

فهذه أيضًا مساحة يُمنع العقل ـ المجرد ـ من اقتحامها والخوض فيها . . محافظة على الإيمان واليقين . . وخوفًا من الشطط والزيغ :

﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ، ابتغاء
الفتنة ، وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله . .
والراسخون في العلم يقولون : آمنا به ، كلٌّ من عند ربنا ،
وما يذَّكَّر إلا أولو الألباب﴾[٢٧]

واللافت للنظر أن القرآن الكريم يطالبنا بالتسليم بالمتشابه ، وتفويض أمره إلى الله

---

٢٥ ـ الأنعام : ٢٧ ـ ٣٠

٢٦ ـ للمتشابه تعريفات منها : أنه ما استأثر الله تعالى بعلمه ، وما احتمل أوجهًا ، وما لا يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان برده لغيره . . وكل هذه المعاني واردة . . ونمثل له بالمنسوخ من القرآن الكريم ، وكيفيات أسماء الله تعالى وصفاته ، وفواتح السور ، وحقائق اليوم الآخر . . راجع : مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن : ٢١٦ وما بعدها .

٢٧ ـ آل عمران : ٧

علام الغيوب ، ويعتبر تسليمنا هذا من سلوك العقلاء . .

﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ . .

٥ ـ وَذَات البَارىء سُبحانه :

ففي الحديث الذي أورده الطبراني ، والألباني في صحيح الجامع الصغير ـ ٣/٤٩ ـ

«تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله»

وهذا ليس حجرًا على حرية الفكر . . إنما هو تقرير لقصور مدارك البشر . . وصيانة لطاقة العقل أن تتبدد فيما لا قبل لها به ، ولا طائل لبحثها وراءه ، وإلا فلننظر في الإنتاج البشري كله فيما يتعلق بذات الله في الفلسفة الإغريقية واللاهوت النصراني ، وما يسمى بالفلسفة الإسلامية وعلم الكلام . .

إلى أي شيء وصل ؟ وإلى أي شيء كان قمينًا أن يصل ؟

لا شيء . . لأنه اقتحام بلا أداة ، أو بغير الأداة الصالحة للوصول . .

> **وليس معنى هذا أن الاعتقاد في وجود الله تعالى ومعرفة صفاته أمر لا نصيب للعقل فيه . . كلا . . إنما يدخل العقل إلى هذا الميدان من بابه الذي هو مؤهل بطبيعته للدخول منه ، لا من الباب الذي لا يقدر على فتحه والذي يضل فيه لو اقتحمه بغير أداته .**
>
> **يدخل من باب إدراك آثار القدرة الإلهية ، والاستدلال من هذه الآثار على وجود الله تعالى ومعرفة صفاته التي يتفرد بها دون الخلق ، ولكن لا يدخل من باب «الكنه» الذي لا يقدر عليه ولا يصل إلى نتيجة فيه[٢٨]**

وحين أصرت الفلسفة اليونانية ـ ومن تبعها بعد من فلاسفة النصارى ـ وفلاسفة المسلمين ـ أن يقتحموا باب «الكنه» بمفتاح العقل . . وصلوا ـ جميعًا ـ

---

٢٨ ـ محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، ص : ٥٠٢

إلى ذلك التخبط الذي يملأ كتب الفلسفة كلها . . من أول التاريخ إلى آخر التاريخ . .

ولا جرم أن نجد «أرسطو» الذي يعتبره دارسو الفلسفة أعظم «عقل» في التاريخ القديم ، يصف «إلهه» بعقله على هذه الصورة :

يقول «**العقاد» في حقائق الإسلام وأباطيل خصومه**» :

مذهب أرسطو في الإله أنه كائن أزلي أبديّ مطلق الكمال ، لا أول له ولا آخر ، ولا عمل ولا إرادة ، فإن العمل طلبٌ لشيء ، والله غني عن كل طلب .

وقد كانت الإرادة اختيارًا بين أمرين ، والله قد اجتمع عنده الأصلح والأفضل من كل كمال ، فلا حاجة إلى الاختيار بين صالح وغير صالح ، ولا بين فاضل ومفضول .

وليس مما يناسب الإله في رأي أرسطو أن يبتدىء العمل في زمان ، لأنه سرمدي لا يطرأ عليه طارىء يدعوه إلى العمل ، ولا يستجد عليه من جديد في وجوده المطلق بلا أول ولا آخر ولا جديد ولا قديم .

وكل ما يناسب كماله فهو السعادة بنعمة بقائه التي لا بغية وراءها ، ولا نعمة فوقها ولا دونها ، ولا تخرج عن نطاقها عناية تعنيه .

فالإله الكامل المطلق الكمال لا يعنيه أن يخلق العالم ، أو يخلق مادته الأولى وهي «الهيولى»[٢٩] ولكن هذه الهيولى قابلة للوجود ، يخرجها من القوة إلى الفعل شوقها إلى الوجود الذي يفيض عليها من قبل الإله ، فيدفعها هذا الشوق إلى الوجود ، ثم يدفعها من النقص إلى الكمال المستطاع في حدودها ، فتتحرك بما فيها من الشوق والقابلية . ولا يقال عنها إنها من خلقة الله ، إلا أن تكون الخلقة على هذا الاعتبار .

---

٢٩ - الهيولي هي المادة الأولى Prime Matter وليس لها في ذاتها صورة تخصها إلا معنى القوة ومعنى أنها الجوهر أن وجودها حاصل لها بالفعل لذاتها . وأصلها كلمة يونانية تعنى الأصل والمادة ، وفي الاصطلاح هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال ، محل للصورتين الجسمية والنوعية راجع : معجم المصطلحات العلمية والفنية - يوسف الخياط - ص : ٧٠٦ ، دار لسان العرب ، بيروت .

ويعلق **العقاد** ـ بصدق ـ على هذا التصور ، فيقول :

كمال مطلق . . لا يعمل ولا يريد .

أو كمال مطلق يوشك أن يكون هو والعدم المطلق على حد سواء(٣٠) .

بل إن العقل لما تمادى في الثقة بنفسه لم يلحد في صفات الله ولا آياته فقط ، بل ألحد في وجوده عز وجل . . يقول الدبلوماسي المستنير حسين أمين :

فهذه العقيدة البدوية انتقلت إلى الإسلام . . بعد أن حلت فكرة الله محل الدهر(٣١) . .

لا إله إلا الله !!

وتشبهها تمامًا مقولة **جوليان هكسلي** في كتابه : الإنسان في العالم الحديث Man in The Modern World :

إن الإنسـان قد خضع لله بسبب عجزه وجهله ، والآن وقد تعلم وسيطر على البيئة فقد آن له أن يأخذ على عاتق نفسه ما كان يلقيه من قبل في عصر الجهل والعجز على عاتق الله ، ومن ثم يصبح هو الله !!(٣٢) . .

سبحانك هذا بهتان عظيم . .

٦ ـ والحاكمية :

والحاكمية قضية كفر وإيمان ، فالخلق والأمر لله رب العالمين :

﴿ألا له الخلق والأمر . . تبارك الله رب العالمين﴾ الأعراف : ٥٤

﴿إن الحكم إلا لله﴾ يوسف : ٤٠

وهذه القضية مما لا يخضع للنظر البشري ، ولا تقبل المفاوضة ، ولا الاقتراع

---

٣٠ ـ مذاهب فكرية معاصرة : ٥٠٣ عن حقائق الإسلام ص : ٣٣ ـ ٣٤ ، ط : دار الهلال ١٩٦٩ ، ولاحظ تأثر بعض فلاسفة الإسلام كابن سينا في كلامهم عن العقل الفعال بهذا المفهوم المنحرف للألوهية .

٣١ ـ أساطير المعاصرين : ١٤٤

٣٢ ـ مذاهب فكرية معاصرة : ٦٣١

والتصويت على أجدريتها ، ولا التعالن برفضها .[٣٣] .

لأن الخالق عز وجل هو الجدير بالأمر . . لأنه يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير . . ولأن المعبود بحق ، هو القمين بأن يكون الحاكم بحق ، وهو العليم الحكيم . .

«وقضية الجاهلية دائماً هي الاستكبار عن عبادة الله تعالى . . سواءً كانت العبادة هي أداء الشعائر التعبدية لله وحده ، المترتب على الاعتقاد القلبي بوحدانية الله تعالى ، أو كانت هي التحاكم إلى شريعة الله تعالى المترتب كذلك على الاعتقاد القلبي بوحدانية الله»[٣٤] .

---

٣٣ - كان من شعارات فرج فودة في انتخابات مجلس الشعب : لا لتطبيق الشريعة الإسلامية

٣٤ - مذاهب فكرية معاصرة : **٥٣٦**

وكما ظهر عبر التاريخ القديم والحديث من أعلى قدر العقل وألّهه وعبده ، ومن جعل موازينه فوق موازين الوحي والشرع . . ظهر أقوام ذمّوا العقل ، وسفّهوا استخدامه ، واحتقروه . . وهم على أشكال :

○○ **الشكل الأول** : قوم هجروا العلم ، واعتبروه دنسًا ، وصدًّا عن سبيل الله (!!) وقالوا إن خلوص النفس وسمو الروح يأتيان بعيدًا عن «**علم الورق**» وطلبوا العلم بالله تعالى بطرق أخرى كالمكاشفات والمواجيد[٣٥] (!)

«يقول **ابن الجوزي** رحمه الله تعالى[٣٦] :

لقد زين إبليس لجماعة من القدماء أنهم دفنوا كتبهم ورموها في البحر !!

ورأى صوفي آخر يحمل محبرة فقال له : **استر عورتك !!**

وأنشدوا للشبليّ :

إذا طالبوني بعلم الورقْ برزت لهم بعلم الخِرَقْ

وقد زين إبليس لأولئكم ذلك لسببين :

الأول : أنه أرادهم أن يمشوا في الظلمة .

والثاني : أن تصفّح العلم كل يوم يزيد في علم العالم ، ويكشف له ما كان خَفِيَ عنه ، ويقوّي إيمانه ومعرفته ، ويريه عيب كثيرٍ من مسالكه ، خصوصًا إذا تصفّح منهاج الرسول ﷺ والصحابة» .

قالوا هذا . . رغم ورود أحاديث واضحة في فضل العلم وأهله . . ومنها :

○○ **حديث البخاري : خيركم من تعلم القرآن وعلمه .**

○○ **حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا : فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم** . الترمذي ، وقال : حسن صحيح .

---

٣٥ - راجع مثلاً : هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل ص : ٢١

٣٦ - صيد الخاطر ، ص : ١٤٠

○○ **حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعًا : فضل العلم خير من فضل العبادة ، وخير دينكم الورع** . الطبراني في الأوسط ، والبزار بسند حسن .

○○ **الشكل الثاني** : قوم اعتقدوا في قوة البَلَهِ وضعف العقل (!!) فألغوا هم أيضًا عقولهم ـ رغم أن الله تعالى لم يكلف إلا عاقلاً مختارًا ـ واستدلوا لمذهبهم هذا بما نسب إلى النبي ﷺ :

«اطلعت على الجنة . . فرأيت أكثر أهلها البله» !!

وبحديث : «أكثر أهل الجنة البله» . . وفي هذا قال شاعرهم :

هم معشرٌ حلّوا النظامَ وخرّقوا السياجَ فلا فرضٌ لديهم ولا نفلُ

مجانينُ . . إلا أن سرَّ جنونهم عزيزٌ على أبوابه يسجد العقل

وبطلان مذهب هذه الفرقة ظاهر ، إذ أنها لا تستند إلى شرعٍ ولا إلى عقل ، فالحديثان ضعيفان . .

فالأول فيه مصعب بن ماهان ، وهو كثير الخطأ كما في التقريب ، وفيه أحمد ابن عيسى الخشاب ، وله مناكير . .

والحديث الثاني قال عنه ابن عدي إنه منكر[٣٧] .

وقال المناوي : وجه ضعفه أن فيه سلامة بن روح ، وثّقه أحمد بن صالح وغيره .

وقال ابن الجوزي : لا يصح . .

وقال الدار قطني : تفرد به سلامة عن عقيل ، وهو ضعيف[٣٨] .

وقد حدثنا **الإمام ابن تيمية** رحمه الله تعالى عن هذه الفرقة وسماها «المتفقرة» وهم قوم لا يرون الشريعة ولا العلم شيئًا ، بل يرون أن المتمسك بهما منقطع عن الله

---

٣٧ ـ راجع : إعانة القريب المجيب في اختصار الترغيب والترهيب . . أحمد بن حجر البنعلي ، ط : ١ ، ح : ١ ، ١٩٨٦ .

٣٨ ـ نقلاً عن منهج المدرسة العقلية في التفسير ٤١ ـ ٤٢ ، والحديثان في فيض القدير ، ح : ٢ ص : ٨٩ ، والمصنوع في معرفة الحديث الموضوع لملا علي القاري ، ص : ٣١ .

تعالى ، وأنهما ليس عند أهلها مما ينفع عند الله شيئًا .

وهم يظهرون الفقر ويتكلفونه ، ويتعبدون على جهلٍ ، وينشدون العزلة أو السياحة الهائمة دون قصد ، وينتقصون العلم الشرعي ، ويرونه علمًا بالظاهر لا ينفع صاحبه وأكثرهم من ضعاف العقول[٣٩] .

٥٥ **الشكل الثالث** : وهو سمتٌ عامّ لبعض الأفراد والمجموعات الصغيرة التي ذابت تقريبًا تحت سلطان الصحوة الواعية . . وجماع ما بينهم الجهل ، والانتماء بلا علم . فزعم بعض المحدَثين من الفرق التي أهملت السنة أن أحدهم يعرض النص القرآني على قلبه ، ويترك نفسه لما يفتح الله به عليه من المفاهيم !!

وقريب منهم ـ في رأيي ـ فعل أشباه المتعلمين والجهال الذين استباحوا الإفتاء ، دون أن يكلف أحدهم نفسه عناء الاطلاع على آيةٍ أو حديث ، أو أن يدرس شيئًا من «الأصـول» التي يحصّن بها نفسه ، ويزرع فيها مهابة العلم ، والخوف من الاجتراء على الله تعالى .

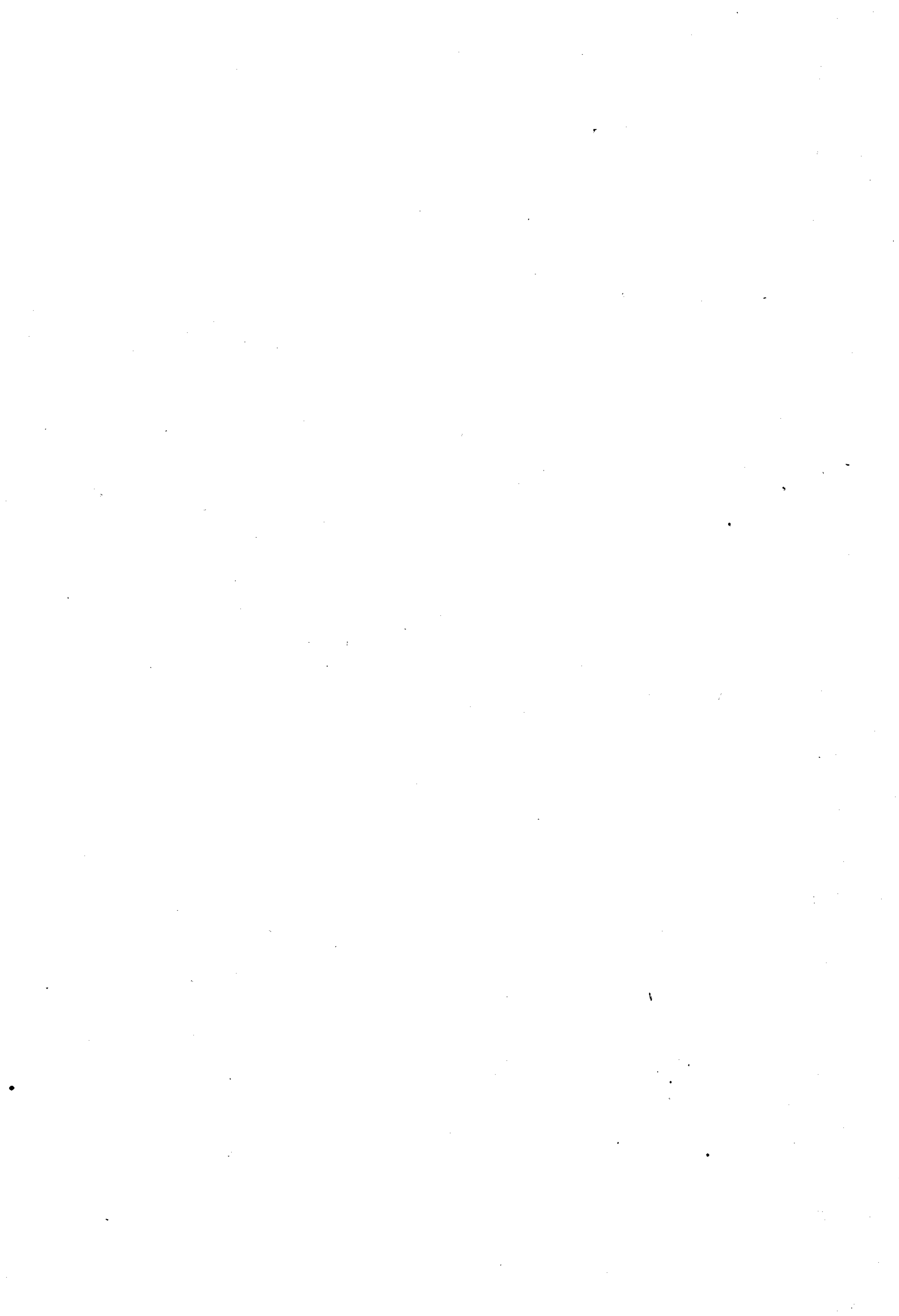
ولقد قابلنا أناسًا لا يحسن أحدهم قراءة آيةٍ أو نطق حديث نطقاً صحيحًا ، ولا علاقة لهم بالعلم وأهله ، ثم إنهم جرآء متطاولون ، سبابون ، يجترئون على الأئمة الأعلام . . حتى وضع أحدهم نفسه في صفّ العلامة ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى ، قائلاً : من هو؟ إنه أحمد بن حجر . . وأنا أحمد بن . . . . فتخيل واعجب !!

ورأيت أحدهم يكفّر شيخ محدّثي العصر ـ الألباني ـ ويتهمه بالجهل والتساهل . . فقلت له : ولمـاذا تقبـل حديثه إذن وأنت تكفّره ؟! هل تستجيز شهادة الكافر وروايته حديث رسول الله ﷺ ؟!

وهؤلاء ـ الفريق الثاني والثالث ـ شبه منقرضين فيما أعلم ، بل إن الله تعالى بارك في أجيال الصحوة خلال العقدين الأخيرين . . وصار فيهم مبرّزون في علوم الدنيا والدين .

---

٣٩ ـ راجع : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق الدكتور ناصر عبد الكريم العقل ، ج : ١ ، ص : ٧٨ ، ط : ١ ، ١٤٠٤هـ



الباب الثاني

ملامح المدرسة العقلية

تمهيد :

إنني أكاد أقطع بعد النظر والمقارنة أن القوم ـ على تفاوت ما بينهم في الرأي أحياناً ، ورغم تفاوت أساليبهم في تناول القضية على مستوى الطرفين القريب والبعيد ـ أكاد أقطع أنهم **يصدرون عن وجهات نظرٍ متقاربة ، وعن موضوعات مشتركة . . وعن تشابه عجيب في العناوين وفي بعض الفقرات ، وفي منهج العرض ، من حيث الحدة والخشونة والاجتراء** وغير ذلك .

وكم اندهشت من هذا التشابه ! !

انظر مثلاً إلى حسين **أحمد** أمين وهو يركز في كتابيه دليل المسلم الحزين ، وحول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية[1] وقارن بين ما فيهما وبين بعض الطروحات التي يطرحها الطرف القريب من أهل العقلنة في كتاباته . . وستجد عجباً . .

فهو يتحدث عن الحجاب ، ويتهجم على الفقهاء ، ويخوض في السنة المشرفة ، ويشهّر بالشباب بطريقة عنيفة ، ويلحّ على مسايرة العصر ـ بحسب فهمه ـ ويطعن في مصداقية بعض الثوابت .

ومن الفرعيات التي ترد كثيراً في أطواء مقالاته السخرية من الذين يتكلمون عن الكلاب ونجاستها واقتنائها ، ويصف المنقبة بأنها شبقية ومريضة جنسيًّا كالشاب الملتحي .

---

١ ـ مكتبة مدبولي ، ١٩٨٧م

ويصف المتطرفين بأنهم أطلقوا اللحى ، وتجهمت منهم الوجوه ، يرتدون الجلابيب ، ونساؤهم ترتدين النقاب ، ويرون ضرورة الأكل باليمين ، ولا يرون شرب الإنسان قائمًا ، ويحرمون الغناء والموسيقى واقتناء الصور[٢] .

إنها نفس طريقة الطرح ، ونفس التناول الذي يتعاطاه الطرف القريب من المدرسة العقلانية المعاصرة ، والذي يستعمل كثيراً نفس «الصور البلاغية» ونفس العبارات !!

وفي رأيي أن المدرسة العقلية ، بمستوياتها ـ من القريبة المحتملة إلى المتطرفة الخارجة ـ تتفق في الملامح والخصائص كلها أو معظمها ، كل بحسب اقترابها أو بعدها من المنهج «النصوصي» أو الأصولي السلفي . لكن المقارنة في واقع الأمر مزعجة للعقل ، متعبة للقلب . .

واللافت للنظر أن المدرسة العقلانية ـ بمستوياتها ـ تجد ترويجًا وترحابًا لافتين . وأصحابها يجدون من الاهتمام ما لا يحظى به أصحاب أية مدرسة إسلامية أخرى من المدارس التي تقع في إطار النصوصية .

ويجد أصحابها أيضًا ترحابًا رسميًّا (!!) متميزاً ، واستطاعوا أن يتبوأوا مواقع ثقافية بارزة كالحال مع **عركون والجابري وخلف الله والشرقاوي وفؤاد زكريا** وغيرهم .

فضلاً عن كونهم المتصدين دائـمًا للحوارات «التقريبية» مع النصارى ومع الشيوعيين ومع العلمانيين والقوميين (!!)

وإن المتأمل ليلحظ بلا مشقة أن هذا الإبراز بدأ منذ مطالع القرن وعلى أيدي المستشرقين الذين حرصوا كل الحرص على إحياء الفكر الاعتزالي والباطني والفلسفي .

وقد أحصى الدكتور **عبد العظيم الديب** في دراسته« **المستشرقون والتراث** »[٣] ، وأثبت بالأرقام أنهم ركزوا على نشر تراث الفرقة والتنازع والإحن ، وما يؤدي إلى

---

٢ ـ انظر مثلا ، ص : **٣١٧** من الدعوة إلى تطبيق الشريعة .

٣ ـ طبع أولاً بحولية كلية الشريعة ، جامعة قطر ، **١٩٨٥** ، ثم طبع **بدار الوفاء ـــ المنصورة** .

تجديد النزاع بكل صوره ، وأن ما نشروه عن الفلسفة والديانات وعلم الكلام والفرق يزيد على النصف من مجموع ما أخرجوه في كل الفنون الإسلامية .

كما حمل المشعل بعد ذلك ـ مشعل إحياء التراث العقلاني المقبول أو المتطرف ـ عدد من المنتمين لهذا التيار ، ومن أبرزهم وأكثرهم دأبًا الدكتور **محمد عمارة** الذي كتب عن الزط والزنج والقرامطة والخوارج والمعتزلة والباطنية ، وجدد كتابات رواد المدرسة الوَسيطة فنشر أعمال الأفغاني ومحمد عبده وقاسم أمين وعلي عبد الرزاق . وركز على قضايا القومية والتراث والعقلنة والسلطة الدينية بلمسة فيها الكثير من المعايير الماركسية[٤] .

كما طرق الموضوعات نفسها باحتفاءٍ كل من د . **زكي نجيب محمود ومحمد عركون ومحمد أحمد خلف الله والشرقاوي ومحمد سعيد العشماوي ومحمد عابد الجابري** وآخرون .

فما هي القواسم المشتركة التي تجمع بين كتابات العقلانيين ، وما هي ملامحهم الفكرية . . هذا ما نورده فيما يلي إن شاء الله تعالى .

---

٤ ـ اقرأ ثبتًا بمؤلفاته التي تقارب الستين ، أو جُل في أثناء بعض كتاباته تجد مصداق ذلك بوضوح شديد .

ملامح عامة للمدرسة العقلية

الملمح الأول

سوء الأدب والصلف

وهـذا الملمح خلقي وعلمي ، أي أنه سوء خلق ينضح على الورق ، وسوء اعتقاد يتحول ـ بقدرة الشيطان ـ إلى علم ومنهج ، وفكر يدرس ويبشر به . .

فالعقليون ـ بصورة عامة ـ يتميزون بصلف غريب ، وحدّة ، وسوء أدب . ويستطيعون ـ بكلمة تخرج من أفواههم لا يلقون لها بالاً ، ولا يؤرقهم ما فيها من تزييف وإفك ـ هدم مناهج كاملة ، وهدم رموز سامقة ، وتقويض أعلام الإسلام في القديم والحديث . . ما دام كلام هذه المدارس أو هؤلاء النفر لا يعجب رفاقنا العقلانيين ـ كذبًا وزورًا ـ ولا ينسجم مع باطلهم . .

وكلما كنت مستمسكًا ، ومنافحًا عن التراث ، مناديًا بشمولية الإسلام ، كنت «سلفيًّا» ، وإن أعدى أعدائهم ، وعمى عيونهم في المناهج السلفية الاتباعية . وهم يمضـون في رفضها بحسب انتمائهم للعقلانية من أول طرفها القريب إلى أقصاها المتطرف الغالي .

فالمقصود بالمناهج السلفية ـ إذن ـ عندهم ـ **كلُّ المدارس التي توقر التراث ، وتقدس الكتاب والسنة ، وترى حتمية الاحتكام إليهما .**

- فأهل الجزيرة ومن يدعو بدعوتهم ـ وكلها خير ـ سلفيون
- والإخوان المسلمون ـ وكلهم خير ـ سلفيون .
- وعلماء الأزهر أيضًا سلفيون !!
- بل الرجل العادي الذي يوقر الدين ويجلّه . . هو أيضًا سلفي !!

وهي سبّة الدهر ، وجريمة لا تغتفر . .

وهي عنـدهم قرينـة لخراب الـدنيا ، ونذيرٌ بيوم تحل فيه الغمة ، وتنكسف الشمس ، وينكسف القمر ، ويزحف «كابوس الإسلام» ـ هكذا ـ

«ليسيـل الـدم أنهارًا ، وتقـطع ألسنـة أهل الفكر ، وتحرق الكتب ، وتهدر آدمية المرأة ، وتتحول البلاد إلى أنقاض يتربع

على قمتها الجهلاء والسفهاء ، وتعشش في سمائها الغربان ، وينعق في قيعانها البوم !!؟»[٥]

أرأيتم مثل هذا الهول الذي سيحدثه الإسلام والسلفية ؟!

ومن أفواههم . . نقيم الحجة . .

يحدثنا الدكتور **محمد عمارة** ـ الذي سمعنا أنه استنار فعلاً والعهدة على الرواة[٦] ـ عن سلفية المحافظين ـ في مقابلة سلفية التيار العقلاني المستنير ـ فيقول :

«وسلفية المحافظين ، وقريب منها ـ ولا نقول مثلها ـ سلفية الشيخ رشيد رضا والشيخ حسن البنـا ، لاعتمادها على النقل دون العقل ، أو أكثر من العقل ، ولتعميمها ذلك في شئون الدنيا أيضًا(؟!) جعلت من التجديد دعوة إلى مجتمع السلف ونظمه وتشريعاته ، فضلاً عن فكره (؟!!)

فهي عودة إلى السلف ، وإن تفاوتت صراحتها في هذه الدعوة بين دعاتها في البادية حيث كانت هذه الدعوة ليست بالأمر المستحيل ، وبين دعاتها في الحضر كما عند الشيخ البنا ، **حيث جعلها الغاية التي تؤدي إليها وسائل مغلفة بالغموض والتعميم (!!)**

أما سلفية التيار العقلاني المستنير فهي لا تدعو للعودة إلى مجتمع السلف ، لأنها تدرك استحالة ذلك ، فضلا عن خطره !!»

ويوافقه في النظرة ذاتها المتفرنس **محمد عركون**[٧] الذي يقول :

---

٥ ـ انظر : مجلة المصور القاهرية ، عدد ٢٥ سبتمبر ٨٦ ، نقلاً عن تزييف الوعي ، ص : ٢٧

٦ ـ تحديات لها تاريخ ، ص : ٢٠٢ . . وقد سمعت من غير واحد من الثقات كالعلامة القرضاوي والشيخ الغـزالي أنه عدل منهاجه الذي ظل يدعو إليه أكثر من عشرين سنة . . وصار بحق مستنـيرًا . . اللهم آمـين . . وهـو عنـدما عرض للفكرة نفسها في كتابه الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري ص : ٥٦ ـ ٥٧ ، يسدد ويقارب ويعرضها بطريقة أكثر اعتدالاً ، فانظر وقارن .

٧ ـ الفكر العربي : ١٥٣ ومحمد عركون خواجة يكتب بمصطلحات وبعقلية وبقلب الخواجة ، ويحتـاج إلى مجادلين من نوع خاص . . وقد انتشر أخيرًا بعد مقابلة واحد من كبار المفكرين العاملين بالمغرب العربي . . أن الناس جميعًا يعرفون أنه يهودي !!

«في سنة ١٩٢٨ أسس حسن البنا في مصر جماعة الإخوان المسلمين التي مضت بالجذور السلفية إلى حدودها القصوى ، ولم ترض بأي تنازل أمام النزعة التحديثية «الإسلام عقيدة وعبادة ، وطن وقومية ، دين ودولة ، روحانية وعمل ، قرآن وسيف ، بحسب تعبير حسن البنا الجازم»

ثم يعقب بقوله :

«إنه مزج خطر ، يقتل ـ دفعة واحدة ـ الفكر العلمي وكلام الله» ؟!!

وفي مدلول مقارب يصادر آخر مدرسة كاملة بحكم عجيب ومثير فيقول :

لا بأس أن يكون الرجل حنبليًّا فقط ما دام عمله بين البيت والمسجد (!!) أما أن يكون بهذه المثابة ثم يطلب الصدارة في ميدان الثقافة الإسلامية فهذا سفه»[٨] ؟!

ويحمل حسين أحمد أمين على الزخم الإسلامي بفصائله كلها ، دفعةً واحدة ، وبأسلوب نسي معه أنه «دبلوماسي» وأنه يمكن أن يمرر ما يريد على طريقة النصيحة التي أسداها أبوه من قبل ـ بالتلطف وإلباسها ثوبًا هادئًا ـ فيقول واصفًا أسلوب المعارضين «الإسلاميين» بأنه :

«يفيض بذاءة ، وينضح بالحقد . .
دون مبرر ظاهر غير اختلاف الرأي (؟!!)
وإنه لأمر يتعذر فهمه إلا . .
إلا على ضوء تكويننا العقلي . . وفساد تربيتنا» . .

ويقول أيضًا عنهم :

«غير أن لدى مفكرينا . . من الصفاقة (!!)
ما يسمح لهم بالحديث عن مادية الغرب وروحانية الشرق»[٩] .

---

٨ ـ السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ـ ص : ٢٤٤

٩ ـ عن أساطير المعاصرين ـ ١٤٢

هذا بالنسبة للمناهج في الجملة . .

أما بالنسبة للأفراد . .

فالعقليون لم يتركوا أحدًا ، ابتداء من رسول الله ﷺ، مرورًا بالصحابة الكرام والتابعين ، وانتهاء بكل فتىً من الفتيان المحاصَرين بألف سورٍ وسور ، والمقموعين بألف طريقة وطريقة .

وهذا المنهج قديم . . ابتدأه ـ بوضوح وتركيز ـ المعتزلة ، العقلانيون الأول . .

يقول الدكتور **فهد الرومي**[١٠] :

ولقد أدى بهم تحكيم العقل إلى أن شطحوا بعقولهم ، فوضعوا الرسل تحت مجهر العقل ناقدين ، لأنهم بشر ، وندّت منهم عبارات لا تليق بحق الرسل «فالزمخشري» مثلاً يقول عن محمد ﷺ عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿**عفا الله عنك**﴾ التوبة : **٤٣**

«كناية عن الجناية ، لأن العفو مرادفٌ لها ، ومعناه : أخطأت ، وبئس ما فعلت» وهذا لا يليق بمقامه ﷺ ، ومنافٍ للأدب معه .

وتطاولوا على الصحابة رضي الله عنهم بما تقشعر منه جلود المسلمين حقًا . . فقال :

ما كان **لابن عمرو** في سيفيه ، ومقاتلته بهما عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تسيير ذلك الحديث ؟!!

o وبجرة قلم يشطب **حسين أحمد أمين**[١١]محاولاً إلغاء نور الشمس ، فيستكثر أن يكون للأمة سلف صالح «**السلف الذي ينعت بالصالح !!**» واتهم عمر بن عبد العزيز بالجهل ، ونسب إلى الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ـ خامس السابقين إلى الإسلام وعاشر المبشرين بالجنة ـ أنه لم يكن يحسن الصلاة ، ويصف الأئمة والفقهاء «بقلة الأمانة وباللؤم» وصنّفهم في مربع «الجبناء» وتحدث عن

---

١٠ ـ في كتابه النفيس : منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، ص : **٥٥**

١١ ـ في كتابه : حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية . . نقلاً عن : فهمي هويدي ، تزييف الوعي ، دار الشروق ، **٣٢** . وكلمة «يشطب» مولدة اعتمدها مجمع اللغة الذي أجاز أن نقول : شطب الكاتب الكلمة إذا طمسها عدولاً عنها (انظر الوسيط ـ شطب ـ ج : ١) .

مجتمع المسلمين بحسبانه أرض النفاق في عنوان بارز . .

○ ولا ينسى **محمد نور فرحات**[١٢] بعض الرموز ، فيكيل لهم نصيبهم في النقد والتجريح ، فعثمان بن عفان رضي الله عنه هو الصحابي الرأسمالي المجرّح في ذمته . . وابن تيمية لا عقلاني ، وساذج ، وعدوّ للفكر الناضج ، والغزالي ـ حجة الإسلام ـ سبب تأخر العالم العربي .

وفي خندقٍ قريب وجدنا من رموزنا ـ غفر الله لنا ولهم ـ من يستخدم في دعم وجهة نظره سوط الحجاج ومنطق الحطيئة ، يلهب بهما ظهر من تسوّل له نفسه الأمارة بالسوء أن يخطىء ، أو يسيء الفهم ، أو يتصرف دون مستوى الأحداث ـ من وجهة نظر أحادية ـ إذ سيكون عميلاً (!!) وتائهًا وتافهًا «وابن صرمة» و . . و . .

وليس هذا في جانب الصغار أو المبتدئين الباحثين عن الصواب ـ ولهم الحق والعذر على أية حال ، نظرًا للضغوط الهائلة من العدو والصديق ـ بل تعدى الأمر إلى أهل العلم والأئمة !! فرأينا :

«من يسب الصنعاني والشوكاني ونافعًا وابن حجر والشنقيطي والألباني[١٣]» ثم رأيناه يثني بجمهور شباب الصحوة ـ وجمهور الشباب بخير لولا القصور الطبيعي الناجم عن الأزمة أو الضغوط الكثيرة ـ فيقول[١٤] :

> **«إنكم تنطلقون كالزنابير الهائجة تلسعون هذا وذاك باسم الحديث النبوي ، والدفاع عن السنة . ونحن نعرف أن آباءكم (!!) قتلوا عليًا باسم الدفاع عن الوحدة الإسلامية . . وقتلوا عثمان باسم الدفاع عن النزاهة الإسلامية . . وقتلوا عمر باسم الدفاع عن العدالة الإسلامية . .**

(أي جعلهم مع المجوس ، والسبأيين ، والخوارج ، ولا حول ولا قوة إلا بالله) . ويكمل قائلاً :

---

١٢ ـ المرجع السابق ـ ٢٥

١٣ ـ ـ راجع : حوار هادىء ص : ٧٦ ، وكتابنا : في فقه الواقع ط : **دار الوفاء ـــ المنصورة** .

١٤ ـ السابق : ٨١ .

فيـا أولاد الأفـاعي (!!) إلى متى تتسترون بالإسلام لضرب الرجال الذين يعيشون له ، ويجاهدون لنصرته (!؟) ولحساب من تكنـون هذه الضغـائن عليهم (؟!) وتسعـون جاهـدين للإيقاع بهم ، وتحريش السلطات عليهم . . »

فهم إذن منافقون ، وعملاء مخربون .

وكم كنا نربأ بأنفسنا ورموزنا عن الانزلاق إلى هذا المهوى السحيق ، حتى يظل الفضل والسبق والجهاد . . وحتى لا يكون تشويشٌ منا علينا . .

وكم أتمنى أن أرى تصحيح هذا الموقف فإن الرجوع إلى الحق واجب . .

وصدق المصطفى ﷺ : «**الكبر بطر الحق وغمط الناس**» رواه مسلم وأبو داود والترمذي .

وهذا المستوى البشع من الحوار عند العقلانيين المتطرفين بخاصة يوحي بجملة مسائل :

١ ـ إفـلاس بعـدم الصـدق أو هذا المنهج وضعف الأرضية تحت قدميه ، والإحساس الشديد بتهافت الفكرة مما يلجئه إلى سترها بالسباب والتطاول .

٢ ـ توحي جملة النقول الماضية أن العقلانيين لا يملكون أخلاقًا نبيلة ، وبالتعبير الخواجاتي «أخلاق الفرسان» وأنهم لو تمكنوا لقمعوا الرأي الآخر ـ وقد حصل هذا فعـلاً[١٥] ولا يزال من خلال هيمنتهم على المواقع الفكرية والإعلامية السلطوية ـ ولأسكتوا ألسنة أصحاب الحق الذين يوافقون ضمير الأمة كلها .

٣ ـ أنهم لا يتـورعون عن قذف الخصوم وتشويههم بإطلاق القذائف المسمومة والمكـذوبـة ، ولا يتـورعـون عن تأليب السلطات واستعدائها محافظة على مكاسبهم ، وهي هائلة عظيمة . كما يفكرون ـ بصوت عالٍ ـ في إقامة جبهة

---

١٥ ـ وغير خافٍ على أحد ما فعله المعتزلة ضد أهل السنة في فتنة خلق القرآن ، ودفعهم بالأئمة والمفكرين إلى غياهب السجون في مصر في عصر المأمون والمعتصم ، وقد وصف هذا بوضوح شديدٍ الإمام عبد العزيز الكناني في كتابه : الحيدة ، كما تجد بعضه في ترجمات الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

فكرية سياسية كما نادى لطفي الخولي وطاهر عبد الحكيم - وإقامة موقف أو مشروع هجومي بديل لفكر مصر المسلمة يعتمد على التوجه اليساري[١٦] .

وهنا سؤال يطرح نفسه :

«هل سمعنا في أدب الحوار الإسلامي سوقيةً وفظاظة تصل لهذا المدى ؟!

هل سُمع شيء من هذا : عن مالك أو أحمد أو ابن تيمية أو العز أو ابن باز أو الألباني أو سيد قطب أو البنا أو القرضاوي ؟!

﴿هاتوا برهانكم . . إن كنتم صادقين﴾

---

١٦ - راجع : تزييف الوعي - ٢٦

الملمح الثاني

المغالطة

أكذوبة القشور واللباب

ومن ملامح هذه المدرسة التركيز ـ بدعواهم ـ على الجوهر دون القشور ، والتعامل مع روح النص لا مع منطوقه .

والحقيقة أنهم يزهقون «روح» النص ، ويكذبون منطوقه وظاهره ، بل هي دعوى باطلة لأنهم كثيرًا ما يرفضون النصَّ منطوقًا وروحًا !!

ولقد كانت قضية «القشور واللباب» هي مدخل العقلانية القديمة إلى التأويل والهروب من الالتزام بالنص . . وهي الآن مدخل العقلانية الجديدة إلى التطرف والجنوح . . بل والخروج . .

وإثارة قضية التمسك بروح الشريعة تبدو كلامًا جميلاً لأول وهلة ـ بل هو جميل إذا تعاطاه الأسوياء ـ غير أنه منزلق وعر يؤدي إلى التخلي عن العقيدة والشريعة . . ويؤدي بسواد الناس إلى اعتناق مذهب الإرجاء الذي يزعم أن الإيمان لا تضر معه معصية ، وأن المعول على «نظافة القلب» و «سلامة الصدر» .

وهو منهج أهل التحشيش أو أهل التهريج . .

وإنك لواجد حتمًا في حياتك من يقول لك : إنني أفعل كذا وكذا وكذا من الموبقات . . لكن قلبي أبيض . . مرحى . . مرحى !

وقضية الروح ـ بهذه النظرة ـ أو قضية «القشور واللباب» مردود عليها من وجوهٍ متعددة ، منها :

الوجه الأول : إن دعواهم أن الله تعالى ربّ قلوب ، ولا ينظر للصورة دعوى صحيحة ، لكنها ناقصة ، أو من باب الحق الذي يراد به باطل !!

فإنه ـ عز وجل ـ إذا كان ربّ بواطن وقلوب ، فقد لفت البشر إلى ما يناسبهم ويقع في مكنتهم وهو **التعامل بالظواهر** ،

فعليها نبني أحكامنا ، وعلى أساسها نتصرف مع عباد الله ، والأدلة على ذلك كثيرة جدًّا ومنها :

- إنما نحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر (مسلم) .
- ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعضٍ ، فأقضي له بنحو ما أسمع . متفق عليه .
- لقد قالها متعوذًا . . هلاَّ شققت عن قلبه !! (البخاري)
- فإذا قالوها عصموا مني دماءهم . . وحسابهم على الله (متفق عليه).

الوجه الثاني : إنهم على استعداد لمجاراة أية قشرة أخرى والتفاعل معها ، فلا بأس أن يأكل أحدهم بشماله - لأن هذا حضارة - ولا بأس أن يحلق لحيته - نظافةً وجمالاً !![17] ولا بأس أن يعتمر القبعة الإفرنجية ، ويضع على شفتيه البايب أو السيجار فهذا أمارة تظرف وتطور .

بل لا بأس أن يتمركس أو يتسرتر أو يتعلمن صراحة ، لأن «**الإيمان بالقلب وربنا رب قلوب**» كما يقولون بأفواههم .

الوجه الثالث : أنهم استحلّوا الكثير من القشرة الأوربية القبيحة كالرقص والموسيقى والأصنام (التماثيل أو ما يسمونه تخفيفًا : النحت) بدعوى أنها قشرة لا تضر .

الوجه الرابع : أن هذه القشرة بدأت أول ما بدأت بشيء يسير كاللحية ، وانتهت عند الغلاة من العقلانيين بالتخلي عن النصوص ، ذهابًا إلى أن الأصل هو الأخذ بروح التشريع لا بظاهره .

واقرأ معي - تدليلاً على ما سُبق - قول الدكتور **محمد عمارة**[18] :

أما سلفية التيار العقلاني المستنير فهي لا تدعو للعودة إلى مجتمع السلف . . لأنها تدرك استحالة ذلك !!

فضلاً عن خطره . . وضرره ؟!!

---

١٧ - هذا للأسف الشديد من تعبير بعض الشيوخ عفا الله عنهم ، وهو تجوّزٌ واندفاع في اللفظ . . إذا أحسنّا الظن .

١٨ - تحديات لها تاريخ - ص : ٢٠٣

وإنما هي تدعو إلى استلهام ما هو جوهري ونقي - أي الدين الخالص [19] - في تراثنا ليكون نقطة البدء ، والطاقة المحركة ، والنبع المقدس ، لدفع عجلة التطور إلى الإمام . .
فالسلفية هنا هي أساسٌ نبني عليه البناء الجديد ، وليست هي البناء . .

وقد يمكن تأوّل هذا الكلام ، وحمله محملاً حسنًا ، لولا أمران :

الأول : جملة كتابات الدكتور عمارة التي تعكس منهجه الفكري الشامل الذي يفسر معنى الاستنارة .

الثاني : التفسير الذي يسوقه المتطرفون من أبناء المدرسة نفسها . . كحسين أحمد أمين وحسن حنفي وغيرهما . .

انظر إلى حسين أمين يفسر هذه المقولة في دعوته لتطوير الإسلام فيقول :

فالتشبع بروح الإسلام - لا الالتزام بأحكام معينة متناثرة - كفيل بأن يكون البوصلة التي تهدينا سواء السبيل ؟!!

ثم يفصل معنى التشبع بروح الإسلام فيقول :

فقد يجد المجتمع الراهن عقابًا لجريمة السرقة غير العقوبة في المجتمع البدوي ، وكذلك بالنسبة للحجاب الذي فرض بالمدينة .

فالقطع الذي قرره القرآن عقابًا للسارق هو شريعة بدوية . . مثل عقيدة القدر (!!)

وكذلك الحجاب : كان مناسبًا للمدينة المنورة . . ولم يعد مناسبًا . . للقاهرة . . في القرن العشرين [20] . .

إذن فالأحكام كلها لن تكون صالحة للقاهرة في القرن العشرين لما بين البادية والحاضرة - بين المدينة والقاهرة - من فروق . وتحت دعوى الأخذ بروح الشريعة .

- أبطل قومٌ صيام رمضان لأنه يعوق طريق الإنتاج .

---

١٩ - سيتضح معنى الدين الخالص مما يأتي .

٢٠ - أساطير المعاصرين : ١٥٢

- وأبطل أقوام الحدود ، لأن الدنيا كلها تقاوم عقوبة الإعدام إلا المتشددين السلفيين !!
- وأبطل أقوام تحكيم الشريعة كلها لأن القوانين الوضعية تحوي ٩٧٪ من الشريعة[٢١] (!!)
- واستحل أقوام الربا ، أخذًا بروح الشريعة ، ومجاراة لروح العصر ، وتسهيلاً للتعامل مع البنك الدولي .
- واستحل أقوام التعري والرقص وما شابه بدعوى الأخذ بروح الشريعة «السمحة» .

وهذا بالضبط دينُ الكنيسة . . التي سمحت لأتباعها بكل شيء ، حتى تعيش ولو على هامش الوجود .

الوجه الخامس :

رأينا في منهج المصطفى ﷺ تركيزًا ، واهتمامًا بالقشرة ، وأمرًا بعدم التشبه بالمشركين في أمورهم وعوائدهم ، لأن التشبه يورث الاعتياد ، فعدم إنكار الكفر ، فالحبَّ ، فالموالاة . وفي الصحيحين «**خالفوا المشركين**» .

لذا لفتنا سلفنا الصالح إلى التمايز الحضاري ، والمحافظة على قشرة معينة تفترق بها الأمة عن سائر الأمم ، أسموها «**الهدي الظاهر**» وذلك لعدة أمور :

منها : أن **المشاركة في الهدْي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى موافقةٍ ما في الأخلاق والأعمال** . وهذا أمر محسوس ، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم ، واللابس لثياب الجند المقاتلة يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم ، ويصير طبعه متقاضيًا لذلك ، إلا أن يمنعه مانع .

ومنها : أن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينةً ومفارقةً توجب الانقطاع عن موجبات الغضب ، وأسباب الضلال ، والانعكاف على أهل الهدى

---

٢١ - نشر هذا بجريدة الأهرام المصرية قبل ثلاث سنين تقريبًا ومن يومها لا تزال تطلق على ألسنة بعض العلماء .

والرضوان ، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين .

وكلما كان القلب أتم حياةً وأعرف بالإسلام كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنًا وظاهرًا أتمّ ، وبُعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشدّ .

ومنها : أن مشاركتهم في الهدي الظاهر توجب الاختلاط الظاهر ، حتى يرتفع التميز ظاهرًا بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين[٢٢] .

الوجه السادس :

أن أصحاب العقائد والأديان جميعًا يحاولون التمايز واكتساب - بل فرض - هوية تحدد فكرهم وعقيدتهم . . وهذا واضح جدًّا عند اليهود ، وعند المتدينين من النصارى، وعند آخرين كالسيخ والبوذيين وغيرهم . وما تعليق الصليب ولبس القبعة والطاقية اليهودية واللحية السيخية إلا آية تمايز وصدور عن عقيدة . أفتكون لهم جائزة وعلينا حرامًا ورجعية ؟!! وأخذًا بالمنطوق لا تشبعًا بالروح ؟!

الوجه السابع :

لقد قامت على الشكل حروب وصراعات لما تنته آثارها حتى الآن . . واقرأ معي **لجمال سلطان** هذا الكلام النفيس[٢٣] :

إن المسائل التي نراها جزئية قد يراها غيرنا «استراتيجية» وبالغة الخطورة . فمسألة الزيّ هي التي أقام بسببها **كمال أتاتورك** حربًا في تركيا ، واستدعت من أصحاب الانقلاب المصري «المبارك» سنة **١٩٥٢** أن يصدروا مرسومًا بتحريم لبس الطربوش !!

كما أن قضية الحجاب تمثل اليوم محور حرب فكرية ومؤسسية في أنحاء كثيرة من عالمنا الإسلامي المعاصر **بل في أنحاء أوربا وأمريكا كما هو ملاحظ هذه**

---

٢٢ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، ج : ١ ، ص : ٨

٢٣ - أزمة الحوار الديني ، ص : ٣٧

الأشهر[٢٤] إلى حد أنها صارت تعقد من أجلها برلمانات ، وتصدر قرارات جمهورية ، وتثير أزمة دستورية وغير ذلك مما هو حادث اليوم في تركيا وإندونيسيا ومصر وتونس وغيرها من البلاد الإسلامية .

وليس من شك في أن ذلك يعود إلى الدلالة الحضارية لمسألة الحجاب ـ وهو شكل وقشرة ـ والإشارة الدينية الكبرى التي يرمز إليها ، من تحدٍّ لأهم مظاهر الجاهلية المعاصرة ، ورفض كل وجوه التمييع للإسلام ، ورفض لكل محاولات الاستلاب الحضاري[٢٥] .

الوجه الثامن :

أن منهج رفض القشور «المزعوم» أفرز لنا ـ من جهته القريبة المحتملة ـ علماءً بلا هوية ، وبلا تميز ، وبلا حظوة لدى جمهور الأمة ، حتى إن كثيراً منهم لا يمكن تمييزه عن غيره في منطقه وزيّه وسلوكه .

وهذا أدى إلى سقوط هؤلاء سقوطًا ذريعًا ، وإلى فشلهم فشلاً كاملاً في إحداث التغيير المأمول منهم ، لأنهم ـ في أحسن الفروض ـ أهملوا القشور ، ولبسوا قشوراً أخرى غيرت طبائعهم وأدت إلى أن يساء بهم الظن ويفقدوا المصداقية .

الوجه التاسع :

من أخطر عواقب قضية «**القشور واللباب**» ، أو قضية «**روح النص وظاهره**» ما حدث من اختلاط الأسماء واضطراب النسب والمفاهيم . . وعدم تميز المناهج المنحرفة من المناهج المستقيمة .

وهذا أمر ضروري لا أجد مندوحة من لفت النظر إليه ، والتركيز عليه . . فلقد

---

٢٤ ـ ففي فرنسا طردت مديرة إحدى المدارس عدة طالبات لأنهن غطين رؤوسهن وكذلك في بريطانيا ، وفي تركيا التي كانت تصر إصرارًا شيطانيًا على ذلك حتى صدر قانون قبل شهرين من الآن يجيز دخول الطالبات في الجامعة مختمرات .

٢٥ ـ اقرأ في ذلك كلامًا نفيسًا للمودودي وأبي بكر سراج الدين ومريم جميلة في : أساطير المعاصرين ، ص : ١٥٨ وما بعدها : ففيها دفاع مجيدٍ عن الزي «والقشرة» واللغة وغير ذلك مما نتساهل فيه أو نحاربه !! وانظر أيضًا رسالة الدكتور محمد بن إسماعيل عن بدعة تقسيم الدين إلى قشور ولباب . . وهي ملحقة برسالته عن حكم اللحية .

كان الناس في الماضي محددين معروفين :

شيعة وسنة ـ فقهاء ومحدثين ـ صوفية وعلماء شريعة ، قدرية ومرجئة ، وجهمية ومعتزلة ، خوارج وفلاسفة ، صابئة ومجوسًا .

وكان لكل من هؤلاء تميزه وتحدد معالمه ، في وقت كانت دولة الإسلام في عز تألقها العلمي والسلوكي ، وفي عز فهمها للدين وتطبيقها له ، وفي عز إبداعها الذي لا نزال نقتات عليه ، بل الذي سيظل منهلاً وعينًا معيناً للأمة حتى يرث الله الأرض . . ويلقى الناسَ جميعًا ومنهم أهل القشور واللباب ! !

ولقد تغير هذا الآن ، فتداخلت المفاهيم ، وفقدت كثير من المعاني تحدُّدها ، ومات الأصل الشرعي الكبير الذي صحت به السنة (**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**) .

وطبقًا لهذا الاضطراب والتداخل :

صار الحلولّي مفكرًا إسلاميًّا مقبولاً ! !

والمعتزلي العقلاني أو العلماني العقلاني مفكرًا إسلاميًّا مستنيراً ! !

والباطني الواضح ـ على اختلاف اسمه : درزيًّا أو نصيريًّا أو إسماعيليًّا أو قرمطيًّا ـ صار تحت مظلة القشر واللباب مجتهدًا مقبولاً ، يملك حق الطعن في الدين ! !

وصار الماركسي مفكرًا إسلاميًّا مستنيراً .

وصار . . وصار . . وصار . .

وكان هذا الخلط سببًا عظيمًا من أسباب الاضطراب في الرؤية ، وإدخال الناس في متاهات الرضا بالواقع ، وتبريره ، وإضفاء الشرعية عليه «بالنصوص» ! !

بل تعدى الأمر إلى تزكية كل المدارس المرفوضة ، والتي ضرب عليها الأئمة الثقات .

فرأينا العقلانيين لا يلمحون وميض نور خلال عصور «الظلمات» الإسلامية إلا من أمثال غلاة المعتزلة وإخوان الصفا والباطنية بل والمتنبئة الكذبة ، وصاروا

يبرزون المغموصين والمجروحين ، واعتبروهم الممثلين العظام للحضارة الإسلامية ومنهم ابن سينا والفارابي .

بل تطاول الأمر وتمادى حتى صار أولئكم أعلى صوتًا وأكثر تأثيرًا من المفكرين الأصلاء الذين وثّقوا جذورهم بالأصول الكبرى للإسلام ، واقتدوا بالأئمة المقبولين وكتبهم وميراثهم .

بل إن بعض مفكرينا يوثق صلته بكثير من رموز العقلانية أو العلمانية ، ويشتد حدبه على الباطنية ، ويرقّ في معاملة «أهل الكتاب» في الوقت الذي لا يخفي عداوته الشديدة للشباب المسلم ، ويديم السخرية بهم ، وازدراءهم بمناسبة وغير مناسبة .

وهذا كله بسبب القناع النفاقي القبيح . .

القشور . . واللباب !!

الملمح الثالث

التطرفُ والمصادَرة

من أوضح سمات هذا المنهج وأصحابه : إصدار الأحكام الكلية ، ومصادرة آراء الآخرين ، والتطرف الشديد في تسفيهها وإلغائها ، بحيث لا يصح - عندهم - إلا ما يرونه صحيحًا ، ولا يستحق البقاء غير آرائهم !!

وهذا منطق صبياني ، أو استبدادي تعسفيّ .

ونحن إذا كنا نقول بفخر ورؤوس مرفوعة إن **الإمام الشافعي** رحمه الله تعالى كان يكرر : **رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب** .

وإذا كنا نذكر بزهوٍ رفض **الإمام مالك** رحمه الله تعالى أن يفرض الرشيد كتابه **الموطأ** على الأمة «لأنّ أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع ، وتفرقوا في الأمصار ، وكلٌّ مصيب» . . . [26]

وإذا كان أئمتنا الكبار كأحمد والشافعي وأبي حنيفة - رحمهم الله - قد أُثِر عنهم رفض التسليم بآرائهم دون تمحيص وتثبت من أدلتها[27] .

فإننا **نلحظ في «الأساتذة العقلانيين»** أحرار الفكر ، **ميلهم الشديد للتفرد وعشقهم للمصادرة** ، عكس ما «يشاع» عنهم من الدقة في التعبير ، والمنطقية في المقدمات والنتائج !!

ولا عجب في هذا إذا كانوا قد كتبوا نتائج بحوثهم قبل أن يفكروا بالمقدمات !!

ولا شك أن التطرف - بشهاداتهم واستدلالاتهم - قصور ، وضعف في العقل ،

---

٢٦ - السنة ومكانتها في التشريع ، ص : ٤٣١ نقلاً عن أبي نعيم في الحلية .

٢٧ - راجع : صفة صلاة النبي ﷺ للألباني ، وفيه نقل عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه قال : حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي ، فإننا بشر نقول القول اليوم ، ونرجع عنه غدًا . وقول الشافعي رحمه الله : إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت ، وقول أحمد رحمه الله : رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كله رأي ، وهو عندي سواء ، وإنما الحجة في الآثار ، ص : ٢٣ وما بعدها

وعمىً في البصيرة .

ولا شك أيضًا أن المصادرة آية عجز ، ومنهج إسقاطي يستر به العقلانيون قفزهم إلى النتائج ، كما أنه سلوك لا يتصف بالعقلانية ولا «بالفروسية» العلمية .

وحتى لا نبدو مغالين أو ظالمين نطرح بعض النماذج «العقلانية» للتطرف والمصادرة :

فإذا نحن بدأنا أول الطريق ـ المعاصر ـ لوجدنا العميد **طه حسين** الذي أحب الغرب حبًّا أعمى ، فدعا «بتطرف» إلى أن نأخذ عنه كل معطياته ، «بعجرها وبجرها» بخيرها وشرها ، بحلوها ومرها ، بما يحب منها وما يكره ، وما يمدح وما يذم ، وما يحمد منها وما يعاب[٢٨] .

فإذا ثنينا بسلامة موسى ـ وهو ليس إسلاميًّا ولا مسلمًا لكن عقلانيًّا متطرفًا ـ فإننا سنعثر على قوله :

> **إذا كانت الرابطة الشرقية سخافة ، لأنها تقوم على أصل كاذب ، فإن الرابطة الدينية وقاحة !!**
>
> **وكلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي :**
>
> **يجب أن نخرج من آسيا . . وأن نلتحق بأوربا**
>
> **فإني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له ، وشعوري بأنه غريب عني . .**
>
> **وكلما زادت معرفتي بأوربا زاد حبي لها ، وتعلقي [illegible] . . و[illegible] شعوري بأنها مني وأنا منها . .**
>
> **وهذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي . . سرًّا وجهرًا . .**
>
> **فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب[٢٩] .**

إنه يريد أن يلغي التاريخ والجغرافيا ، والماضي والحاضر في سبيل التغرب

---

٢٨ ـ مستقبل الثقافة في مصر . . انظر : الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي ، إسماعيل الكيلاني ، ص : ٨١ .

٢٩ ـ عن د. محمد عمارة : العلمانية ونهضتنا الحديثة ، دار الشروق ، ص : ١٥٨

المطلق غير المشروط .

فإذا تقدمنا قليلاً نحو أساتذة الفلسفة المعاصرين وجدناهم أيضًا أسرى المصادرات والأحكام الكلية المتطرفة !!

فهذا أحدهم يزعم للناس عبر صحيفة يومية أنه **لا يوجد في العالم . . سوى حضارة واحدة بعينها . .**

هي الحضارة المادية الحسية الإلحادية الشيوعية (!!)

وها هو ثانٍ يلغي البشرية كلها بقول :

إن قيم العدل والتوحيد في العقيدة والشريعة ، والإيثار في الأخلاق ، وإن العفة والصدق والوفاء وبر الجار والكرم والشجاعة . . هي

قيم مظلمة . . متخلفة[٣٠] .

ويصدر الدكتور **زكي نجيب محمود** حكمًا كليًا صارمًا لا مراجعة فيه ، يلغي به كل المغيبات والمعجزات وما كان وما يكون :

«**لا معرفة مما يصح أن يسمى علمًا . . إلا إذا بدأت بتجربة الحواس !!**»[٣١] .

إنها مصادرة كاملة ـ لا معرفة !! ـ رغم أن كبار الفلاسفة ـ كما يقول الدكتور **أحمد عبد الرحمن** ـ يخالفون الدكتور في هذا الحكم السالب ، ومنهم كانت وبرجيسون وهسرل ، فهم يؤكدون وجود معرفة حسية ، وهي ـ عندهم ـ علم ، بل إن بعضهم يرى أنها ـ وحدها ـ العلم اليقيني الحق !![٣٢]

وفي كتابه التفكير العلمي يصف الدكتور **فؤاد زكريا** كثيرًا من العلماء المشتغلين بالبحث العلمي بأنهم : **ذوو إنسانية ناقصة ، وأفق ضيق ، وهمج متعلمون !! ومترفعون عن غيرهم ؟ وعلماء جهال ، ومغرورون ، وعاجزون عن مواجهة موقف من مواقف الحياة المعتادة**[٣٣] .

---

٣٠ ـ أساطير المعاصرين ـ ص : ٨

٣١ ـ أساطير المعاصرين ـ ص : ١٩

٣٢ ـ المرجع السابق نفسه .

٣٣ ـ ثلاثة كتب في ميزان الإسلام ، ص : ٣٢

هل هناك تطرف أكثر من هذا ؟ !

وبمثل النظرة السابقة والمصادرة المتطرفة يصدر بعضنا حكمه المبرم على أهل الحديث وعلى التيارات التي تشغل الساحة الإسلامية فيقول :

الصحوة الإسلامية المعاصرة مهددة من أعداء كثيرين . والغريب أن أخطر خصومها نوع من الفكر الديني . . الذي «يلبس» ثوب السلفية ، وهو «أبعد الناس» عن السلف ، إنها «ادعاء» السلفية وليست السلفية الصحيحة[٣٤] !!

وأعتقد أن هذا الحكم القاسي الذي يصنف الألباني وابن باز وأبا بكر الجزائري وعبد الله عزام وإبراهيم عزت في وضع أسوأ من وضع العلمانيين والشيوعيين وفقهاء السلطان و «المستنيرين» . . واليهود والنصاري . .

حكم أقل ما يوصف به بأنه متطرف غير منصف .

---

٣٤ - سر تأخر العرب ، ص : ٥٢ عن : حوار هادىء ، ص : ٨٦

الملمح الرابع

طرح الأكاذيب والفرقعه

أكذوبة تحرير المرأة

وقضية المرأة طريق شائك ، وحقل ألغام ، على السائر فيه أن يسأل الله السلامة . . من أصدقائه . . ومن أعدائه !!

فهي من القضايا التي «طبخت» بمهارة ، وتم جر التيار الإسلامي إليها استفراغًا لطاقاته ، وضربًا لأجزائه بعضها ببعض .

ولا شك أن نوعًا من الظلم ، وقع على المرأة نتيجة هيمنة بعض العادات ، تمامًا كما وقع الظلم على الطفل ، وعلى أهل العلم ، وعلى فئاتٍ أخرى !!

ولا شك أيضًا أن هذه العادات ليست من الإسلام في شيء ، بل هي عادت يسهل نبذها والتخلي عنها ما دامت بعيدة عن الدين .

لكن العقلانيين جعلوها حفرًا ، وإشكاليات ينتقلون بها من المطالبة بحقوق المرأة الضائعة ـ مع حفظ سائر الحقوق ـ إلى سلب المرأة كل حقوقها . . وامتهانها . . وتحويلها إلى طعام مكشوف . . تعافه الفطرة السليمة . . بسبب الذباب الكثير الكثير الذي يلوثه ، وينقل إليه الخبث والدنس !!

هل أنا مغالٍ في ذلك ؟! كلّا . . وألف كلّا !!

فنحن نطالب بتعليم المرأة ، وبصيانتها ، بتوفير حقوقها «**التي كفلها الإسلام**» ، وهذا من هواجس الصحوة المباركة ، ومن أولوياتها . .

ومع ذلك فهم يقولونها . . أحيانًا بالتواءٍ ومراوغة ، وأحايين بوضوح وصراحة : حتى هذه الأحكام لو تحققت ، فهي إهانة للمرأة وإذلال ، بل هي ردّة ما بعدها ردّة !!

وإن القضايا التي غضب بعضنا من أجلها ، واعتبرها «**احتقارًا للأنوثة ،**

وعدّها من التقاليد البدوية ، والأوضاع الجاهلية المزرية بالمرأة ، واعتبرها من السوءات الفكرية ، ومظهرًا من مظاهر الداء الجنسي والسوداوية» !![٣٥] .

إن هذه القضايا ـ رغم أنها «**خلافية**» وفيها «**أكثر**» من وجهة نظر فلا تجوز مصادرتها لصالح رأي واحد ـ هي حفرة واسعة ووادٍ سحيق يتم استجرارنا إليه ليلقونا في غياباته ، كي نقطع من عمر الصحوة وقتًا ثمينًا يضرب بعضنا فيه بعضًا ، ويرفع الأخ في وجه أخيه السوط والسيف ، بل ليستشهد بكلامنا وانفعالنا وتسابّنا الشامتون والعلمانيون والملاحدة !!

وفي اعتقادي أنه لو انهزم النقاب لحساب الحجاب أو العكس لما كان في هذا مشكلة ، فنحن بين وجهتي نظر عليهما دليل ، وقال بهما فقهاء محترمون ، لكن أن ينهزم النقاب أو الحجاب ليفضي الأمر بعد ذلك إلى عري وسفور ، أو إلى جرح دائم النزف وعداوة مستعرة بين المسلمين ، فهذا مما ينبغي أن نفطن له ، وننزه أنفسنا من التلوث بوحوله والارتكاس في حمأته .

وإني لعلى ثقة ـ كما مر قبل قليل ـ أن هذه القضايا لو حُلت على وجه مرتضىً ـ والحق لا بد أن تسفر شموسه ويمكث في الأرض ـ فإن العلمانيين وغلاة العقلانيين سيظلون ينهشون بأنيابهم السامة جسد الإسلام «الذي ظلم المرأة وجهلها» !!

ولنا في ضرب المثل عبرة وبرهان :

○○ فحين أصرت جموع المسلمين على رفض قانون الأحوال الشخصية المعروف «بقانون جيهان» وكان على رأس هذه الجموع ـ فيما علمت ـ فضيلة الشيخ الغزالي ، اعتبرته السيدة الأولى ومدرستها ـ آنذاك ـ ردة حضارية ونكسة للمرأة المصرية[٣٦] .

---

٣٥ ـ انظر مثلًا : السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث : ص : **٨٩** وحوار هادىء مع الشيخ الغزالي ، باب : موقفه من قضايا المرأة .

٣٦ ـ انظر كتاب : اليسار الإسلامي : القاعدة وحتمية إيقاظ الحس الإسلامي .

٥٥ وهـا هم «المستنـيرون» يصرون على اعتبار الحجاب «الوجه والكفين» ردةً حضارية ، وستارًا مسدلاً على عقل المرأة .

«فالدكتور زكي نجيب محمود يراه حجابًا على الفكر وليس حجابًا على الجسد !!**

وحسين أحمد أمين يراه تبريرًا رجاليًّا ، «لينفسوا عن قهرهم سياسيًّا ، واجتماعيًّا !!**

وحسن حنفي يراه **دليل مرض الكبت الجنسي عند النساء !!**

وتكشف عواطف والي سرًّا خطيرًا حين ترى أن التشريع الإسلامي ـ بإباحته تعدد الزوجات ـ **كان هو السبب في هزيمة يونيو ١٩٦٧**»[٣٧] .

أرأيتم بشاعة الحجاب «الوجه والكفين» وليس النقاب !!

إنه ردة ، ودليل قهر سياسي واجتماعي ، وحجاب على العقل ، وعَرَضٌ من أعراض الكبت «عند النساء» . وهو سبب النكسة المباركة ليس غيره !!

□ وأما «المتحررون» الذين يطالبون كل فتاة أن تأخذ بيد صديقها لتقدمه لأبيها ، والذين يتمنون رؤية «الأولاد والبنات» أزواجًا أزواجًا قد استلقوا على الحشائش ـ على طريقة العندليب والسيدة ـ في جامعة أسيوط [٣٨] .

هؤلاء «المتحـررون» يملكـون من الحياء أكثـر كثيرًا مما تملكه «الأنثى» نوال السعداوي ومدرستها التي خرجت علينا بنظرية «رائعة مروعة» للقضاء على البغاء السري والدعارة الخفية .

وذلك بإباحتها علنًا !! فتقول :

> **إن البغـاء لا يحدث إلا إذا أعـطيت الحـريـة لجنس «تقصد الرجال !!» وحرمت على الجنس الآخر «تقصد النساء» وإن المـرأة تستحق ما يمارسـه الرجل من حرية جنسية ، فهي لا**

---

٣٧ ـ غزو من الداخل : ٨٤ ـ ٨٥ باختصار وتصرف .

٣٨ ـ قال ذلـك إحسـان عبد القدوس ، وأنيس منصور ، انظر : واقعنا المعاصر للأستاذ محمد قطب ، ص : ٢٩٤

ينبغي أن تكبّل نفسها بقيود رجلٍ واحدٍ «زوج رخيص !!» بل يجب أن تتمتع كما تشاء !![٣٩]

ينبغي ألا تكبل نفسها مع زوج رخيص !! ولا تعليق . .

o بل إن نوال لا تكتفي بذلك ، بل تطالب لها بحرية أوسع من الحرية الجنسية المتاحة للرجل (من الذي أتاحها ؟!) الذي يضعف بدنه مبكرًا وتخور قواه ، بينما تبقى المرأة متأججة :

لأنها «تقصد الطبيعة !!» زودت المرأة بقدرة ، وحاجة بيولوجية وجنسية أشد من الرجل»[٤٠] .

o بل تتوسع أكثر وأكثر . .

فتستبيح الشذوذ بكل صوره ، لأنه ليس في «الجنس» شذوذ !!

فتقول في كتابها «الرجل والجنس»[٤١] :

(بدأ «العلماء» يرفضون استخدام مصطلح الشذوذ الجنسي ، على أساس أنه ـ النشاط الجنسي ـ ليس فيه ما هو شاذ ولا ما هو طبيعي . .

وإن النشاط «الجنسي الصحيح» هو الذي يحقق لصاحبه الإشباع بصرف النظر عن شكل هذه الممارسة !!)

o بل إنها تتـوسع وتتوسع . . وآخر «إفرازاتها» مؤتمرها الأخير في نيروبي بكينيا ـ أواخر ١٩٩٠ ـ ولقاءاتها في جمعية تضامن المرأة العربية .

التي بها تريد أن تلغي عصبية الرجل لكل شيء حتى الله ـ تعالى ـ وهو ذكر لا أنثى !! كبرت كلمة تخرج من أفواههم .

أرأيتم أنه استدراج ؟!

يبدأ من الحجاب «الردة» وينتهي بهذه القمامة ؟!

---

٣٩ ـ انظر حق المرأة ، ص : ١٧٥ وهذا الكلام مكرر في كتابيها : الرجل والجنس والمرأة والجنس إضـافة إلى كتاب : المرأة هي الأصل . . وقد تطرفت في هذه الكتب إلى حد لا علاقة له بالعقلانية ولا الآدمية بل ولا الحيوانية !!

٤٠ ـ السابق نفسه .

٤١ ـ ص : ١٤٨ عن حق المرأة ، ١٨١

وهل هناك تطرف وازدراء للآدمية أشد من هذا ؟!

ثم : أليس تركيز الاستعمار ، والاستشراق ، والمستشرقين ، والمستغربين ، والشيوعيين على هذه القضية ، وإلحاحهم عليها مؤشرًا على شيء ينبغي أن نتفطن له ؟!!

تأملوا معي : بعد أن كانت المرأة «**حُرْمة**» و «**عقيلة**» و «**كريمة**» و . . نبتت فكرة «**التحرير**»[٤٢] . .

وبعد أن كانت الجريئة إلى حد ما تعير بأن «**وشّها مكشوف**» !!

صارت تعير «**بالردة الحضارية**» وتوصم بالجهالة والتخلف «**والحيوانية والشبقية**» إذا هي غطت شعرها أو وجهها أو أطالت ثيابها !!

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !!

---

٤٢ ـ اقرأ تأصيلًا ممتازًا لها في : واقعنا المعاصر ، ص : **٢٥٠** وما بعدها .

الملمح الخامس

فن الإرهاب المصطلحي

كما أن «إخواننا» العقلانيين مهرة في استخدام مصطلحات إرهابية تخويفية ، وفي إسقاط الدلالات «اللقيطة» على إسلامنا العظيم . .

فخرقوا لنا الأرثوذكسية الإسلامية والبطريركية السنية والكهنوت . .

واختلقوا أسطورة الإسلام المدرسي ، واليسار الإسلامي !!

وكما أنهم يكثرون ـ بل يفرطون ـ في استخدام ألفاظ «خارقة حارقة» من ماركة التخسيس والتجهيل والرجعية .

وكما أنهم برعوا في تشويه بعض الألفاظ ذوات الدلالة المستقيمة فجعلوها ذات أبعاد تخويفية ، كما فعلوا مع السلفية والأصولية والنصوصية .

فإنهم كثيراً ما يتفننون في استحداث ألفاظ وتهمٍ استعدائية هجومية ، يراد منها أكثر ما يراد تهييج العامة وأشباه المتعلمين على الإسلام ودعاته ، وتخويف السلطات من الإسلاميين !!

ولا أدري كيف يوفقون بين منهجهم هذا وبين طنينهم الدائم وتبجحهم بالاستنارة وحرية الرأي !!

اقرأ ما كتبه الأستاذ **فهمي هويدي**[٤٣] عنهم من «تزييف للوعي» وكذب على الناس ، وتآمر عليهم ارتكس فيه عدد من العقلانيين «مختلفي المدارس» وما دبجته أقلامهم من تهم أقلّها خطير مفزع :

اقرأ ـ ولا تخف ـ هذه العبارات الإرهابية وتأمل :

- إن هدف التيار الإسلامي هو تركيع الإنسان العربي وهزيمته ، وفرض

---

٤٣ ـ تزييف الوعي ، ص : **٢٣** وما بعدها ، والكتاب من النوعية المهمة الجديرة بالقراءة ، لأن فيه فضحًا واضحًا لأساليب هؤلاء .

الإمبريالية والصهيونية[٤٤] . في غيبة العقل والديمقراطية . . على الوطن العربي !! (د . طاهر عبد الحكيم) .

- إن الحركات الدينية القائمة الآن هي في جوهرها «خاضعة» للقطب الاستغلالي في عملية «الصراع الطبقي» (د . طاهر عبد الحكيم) .
- إن تنامي التيار الديني ـ كله ، لا التعصب ولا التطرف ـ قد نشأ في غيبة العقل المصري وفي ظل عقمه !! (فرج فودة)
- إننا إذا انتبهنا إلى تنامي التيار الديني ، وإلى دور المؤسسات الاقتصادية المالية في «تمويل» الحركات الدينية الإسلامية !! .وفي «الزعم» بأن هناك اقتصادًا إسلاميًّا لأدركنا حجم «المؤامرة» التي تحاول إفساد الحياة المصرية ، وقهر المجتمع المصري !! (محمد نور فرحات)
- إن الحركات الإسلامية لا تمثل هويتنا الحضارية ؟!

بل إن هذه «اللعبة» التي تساهم فيها «قوى خارجية» . . هي عملية تهدف إلى إضاعة هويتنا الحضارية !! (فؤاد زكريا) .

إذن فالإسلاميون ـ جميعًا ، ومن أقصاهم لأقصاهم ـ عملاء للإمبريالية ، والصهيونية ، يعملون لحساب الكنيست (؟!!) أو البيت الأبيض .

والدعوة للإسلام تستغل العقل الغائب للأمة ـ من الذي غيّبه وهم يملكون مقاليد الفكر والإعلام منذ عقود متطاولة ؟!

والدعاة يتآمرون لإفساد الحياة ، وقهر المجتمع . .

وتساهم في ذلك قوىً خارجية . .

ويعمل هؤلاء وأولئك لإضاعة الهوية الحضارية للأمة . .

ألا يشبه هذه «التزييف الحقير» أسلوب الحوارات القمعية البوليسية ، ولغة التقارير السرية ؟

ومن كتابها ؟! إنهم كبار رموز العقلنة . . فيا للفخار !!

---

٤٤ ـ وكأن التيار الإسلامي هو المسؤول عن هزيمتنا الحضارية والعسكرية ، وعن تخلف الأمة ، وكأنه هو الذي «يبشر» بتطبيع العلاقات مع الأحمر والأزرق والأسود !!

وأقول آسفًا إن «بعضنا» ممن مستهم جراثيم العقلنة كثيرًا ما يستعملون أسلوب إلقاء التهم ، والقنابل اللسانية «الخارقة الحارقة» . . فيتهمون غيرهم من المخالفين بأنهم يتسترون بالإسلام ، ويعملون لحساب جهات مجهولة لضرب العلماء ، ويسعون جاهدين لتحريش السلطات عليهم . . وأنه ربما كان «الاستعمار» ـ هكذا وبعمومية ـ هو الذي يحركهم وينطقهم وينشىء لهم «جماعات» في أقطار متباعدة لأنهم مهرة في تقطيع «وحدة» الأمة ! !

أليس هذا «فن الإرهاب المصطلحي» ؟!

الملمح السادس

اصطناع القضايا

أشرت فيما مضى إلى أن العقلانيين مهرة في اختلاق التهم وافتراء الأكاذيب التي يشغلوننا بها عن المضي على دروب الدعوة ، ولكي نضيع الوقت في دفعها عن أنفسنا ـ حتى وإن لم تكن عيبًا ولا عارًا ـ فيتبدد الجهد ، وتتوزع الطاقات ، ونفقد مواقع عزيزة نحن بحاجة إلى كسبها وبقائها بأيدينا .

○○ ومن أبرز القضايا التي يلحون على إثارتها وتفجيرها بصورة منظمة ـ وبطريقة مدروسة ـ قضية ما يدعى عند النصارى بالحكم الإلهي : Theocracy وسلطة رجال الدين .

ويدعون أن الإسلام يجعل الإمام «الحاكم ـ الخليفة ـ الأمير ـ الرئيس . . إلخ» خليفة عن الله في الأرض ، ويجعل لأوامره قوة القرآن في الإلزام ، فكلامه مقدس ، وأوامره وحي (!!)

ويحاولون إثبات ذلك بألف دليل ودليل !!

وهي قضية بذل بعضهم عمره كاملًا في تأصيلها ، ونشرها ، والدفاع عنها ، ابتداءً من **الشيخ علي عبد الرازق (١٨٨٧ ـ ١٩٦٦)** الذي ذهب إلى أن محمدًا ﷺ ما كان إلا رسولًا لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها نزعة ملك ولا حكومة[٤٥] ، مرورًا **بمحمد أحمد خلف الله** الذي قال :

لم يكن نبي الإسلام في أي وقت من الأوقات ملكًا أو رئيس دولة ، وإنما ظل دائمًا النبي الرسول[٤٦] . .

ومرورًا **بخالد محمد خالد** ـ قبل تراجعه ـ الذي فصل الدين عن الدولة بدعوى

---

٤٥ ـ الإسلام وأصول الحكم ، ص : ١٥٤ ، بيروت ١٩٧٢م

٤٦ ـ النص والحكم والاجتهاد في الإسلام ، مجلة العربي ، يونيو ٨٤ . . نقلًا عن العلمانية ونهضتنا الحديثة ، محمد عمارة ، ص : ٣٢ .

دفع الثيوقراطية ، وبمحمد عمارة الذي قضى عمرًا في تأصيل النظرية ثم أحسست عنده بشيء من التراجع في كتابه العلمانية ونهضتنا المعاصرة[٤٧] .

وقضية الحكم الإلهي هذه أكذوبة كبيرة ، وخرافة مردود عليها ، فليس في أمة المسلمين نائب عن الله تعالى ، وليس فيها معصوم بعد المصطفى ﷺ ، بل إن المحكوم فيها يجعل من الحاكم وكيلًا عنه ، بعزله عندما يشاء .

وهذا الحاكم ملتزم بالشورى ، لا يستطيع أن يبرم أمرًا بطريقة فردية أو تعسفية .

كما أن هذه الشورى الملزمة للحاكم والمفروضة على المحكومين تستلزم تلقائيًّا :

أ ـ حرية التعبير للمحكوم عليه حرية مطلقة في الكلام والكتابة والاجتماع والتعبير .

ب ـ حرية الاتصال بالحاكم حرية مطلقة : سواء بالكتابة أو بالاتصال المباشر أو بالكتابة للناس ومنهم الحاكم .

كما أن هذه الحرية ينبغي أن تكون مأمونة العاقبة تمامًا ، ولا يعاقب صاحبها مهما تمادى ، ما دام يعبر عن رأيه الحاكم مباشرة ، وقد تقيد إذا كان الاجتماع عامًّا أو الكتابة عامة لصالح الأمن والسياسة والأمة[٤٨] .

○○ ومن القضايا التي لا يفتأون يثيرونها قضية المرأة وقد سبق الكلام عنها .

○○ ومنها قضية العبث بالتاريخ الإسلامي وتسليط النظرة الانتقائية التشويهية عليه ، وكتابته من مناظير منحرفة كالمنظور المادي أو الاستشراقي أو القومي العروبي[٤٩] وتتفرع عن هذه القضية قضية تقسيم الفقه والتراث الإسلامي إلى بدوي وحضري ، وهذا ظاهر عند محمد عركون وعمارة وحسين أحمد أمين فضلًا

---

٤٧ ـ ط : ١ دار الشروق ١٩٨٦م

٤٨ ـ نحو إسلام سياسي ، د. فهمي الشناوي ، ص : ٢٢٠ ولنا كتاب في هذا الموضوع عنوانه : «حرية الرأي» يسر الله طبعة قريبًا .

٤٩ ـ اقرأ مثلًا لمحمد عمارة : فجر اليقظة القومية ، ودراسات في الوعي بالتاريخ ، وكتابه عن المعتزلة ، ومسلمون ثوار وغيرها ، واقرأ لأحمد عباس صالح الصراع بين اليمين واليسار بمجلة الكاتب ، ١٩٦٥ واقرأ الفتنة الكبرى لطه حسين .

عن بعض الرموز الإسلامية التي ابتلعت الطعم[٥٠] .

٥٥ ومنها الهجوم الشديد على السلفية . . ولها معنىً مطاط عندهم يستغرق كل التيارات الإسلامية من أقصى الأجنحة المتطرفة كالتكفير ، إلى الجمعيات الرسمية إلى مجرد الانتماء العاطفي ما دام لا يوافق منهجهم[٥١] .

٥٥ومنها المبالغة في إثارة قضايا الذميين والحدود ، وترويج أن الإسلام لن يدع ذميًّا إلا أذله ، وأنه سيترك الناس ما بين مرجوم ومقتول ومصلوب ومقطوع اليد أو الرجل ، وإذا أفلت أحد من الحدود فإن التعازير ستكفي لقطع لسانه !!

٥٥ ومنها التركيز على قضية التطرف والإلحاح على تشويه المنتسبين للإسلام جميعًا ، فهم يقولون : احذروا المعتدلين ، فهم يبدأون معتدلين وينتهون متطرفين (؟!!)

وكما يقول الأستاذ **فهمي هويدي** ـ تزييف الوعي : **٣٩** ـ إنهم : يتصيدون الشذوذ والنقائص ، ولا يحتجون إلا بفكر الغلو الذي تنكره الأغلبية الساحقة من المنتمين إلى التيار الإسلامي . .

فلا يذكر التيار الإسلامي إلا مرتبطًا بقائمة من الأوصاف ، تتراوح بين التكفير والتعصب والجمود . .

ولا يشار إلى دعوات تطبيق الشريعة إلا في سياق العنف والانقلاب والارتداد .

وعندما يتطرق الحديث إلى الدعاة أو المشتغلين بالعمل الإسلامي فإن الصورة التي ترسم لهمْ تضاف إليها ـ ولا بد ـ الخناجر والجنازير «ومطاوي» قرن الغزال . . ناهيك عما ينسب إليهم من آراءٍ هي خليط من التخلف والتفاهة والسفاهة (انظر : ندوة مجلة «فكر» عن التطرف الديني السياسي ـ من **٣٢ ـ ١١١**) .

٥٥ ومنها الإساءة إلى مصطلحات لا غبار عليها كالأصولية أو السلفية أو النصوصية ، وتحويلها إلى «بعبع» ليصير كل أصولي شيطانًا ، وكل سلفي سفاك

---

٥٠ ـ انظر مثلاً : تحديات لها تاريخ لعمارة ، والفكر العربي لعركون ، وحسين أمين في حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية .

٥١ ـ منهج المدرسة العقلية ص : ٨٩ . . نقلاً عن جمال الدين الأفغاني لأبي رية ، ص : ٩٨

دماء !!

oo ومنها لعبة «التقريب» الخطيرة ، ومحاولة اعتبار العقائد كلها شيئًا واحدًا ، فيسوون في النتيجة بين المسلم والكافر . .

oo ومنها التشكيك في طبيعة نظرة الإسلام إلى المال ، والتأثير على الناس من هذا الباب . .

فيذهب أطرفهم القريب إلى القول بتحليل الربا ـ وهي مدرسة واسعة من نجومها عبد الله العلايلي والنمر وخالد محمد خالد وأحمد شلبي وغيرهم ، وقد تكلم عن القضية قبلهم جمال الدين الأفغاني ـ وهو من المدرسة الوسيطة ـ الذي حرم الربا إذا كان أضعافًا مضاعفة ، ذاهبًا إلى «جواز الربا المعقول (؟!) الذي لا يثقل كاهل المديون ، ولا يتجاوز في برهة من الزمن رأس المال ويصير أضعافًا مضاعفة»[٥٢] .

كما قال بجوازه أيضًا الشيخ محمد عبده الذي ذهب إلى أن الربا حلال لضرورة الوقت ، فقال مستدلًّا : (إن أهل بخارى جوزوا الربا لضرورة الوقت عندهم ، و لمصريون قد ابتلوا بهذا ، فشدد الفقهاء على أغنياء البلاد ، فصاروا يرون الدين ناقصًا»[٥٣] . هذا في الطرف القريب ، أما طرفهم الغالي المتطرف ، فهو لا يؤمن أصلًا بشيء اسمه الاقتصاد الإسلامي ، بل يعده ـ كما سبقت الإشارة ـ مؤامرة لإفساد الحياة المصرية وقهر المجتمع !!

---

٥٢ ـ المرجع السابق ، ص : ٥١٠ عن تاريخ الأستاذ الإمام لرشيد رضا ، ج : ١ ، ص : ٩٤٤ ، وكلامه عجيب جدًّا ، فهل يملك الفقهاء التحليل والتحريم ؟! ثم : ما هذا الدليل الغريب الفريد ؟! واقرأ في ذلك مقالنا بالعرب ، يناير ٩١ ، هل في الربا قولان ؟

٥٣ ـ يؤصل د . محمد أحمد خلف الله قاعدة أصولية «هائلة» تطويرًا للقاعدة الخلافية : شرع من قبلنا شرع لنا . . فيجعلها : «شرع المتقدمين علينا حضاريًّا شرع لنا» فاعجب . عن جمال سلطان ، غزو من الداخل : ص : ٥٩

الملمح السابع

شرع المتقدمين حضاريًا
أم شرع الله عز وجل ؟!

فأما «هلاوس» التأثر ، بل الانبهار بالحضارة المادية فهو «عَرَضٌ» لا يحتاج لكبير عناء للتدليل عليه . .

فهم - جميعًا ، في جانبهم المتطرف - يعلنون صراحةً انتماءهم وولاءهم للشرق أو الغرب[٥٤] .

ومن لحن القول يدرك كل ذي فطنة أنهم على استعداد لبذل أي شيء حتى يرضى عنهم مروّضوهم . .

الولاء والانتماء للحضارة المعاصرة : بخيرها وشرها ، وحلوها ومرّها ، وما يُحبُّ منها وما يكره ، وما يحمد وما يعاب . . كما قال سيدنا العميـ . . ـد !!

وهذه القضية قديمة قدم المدارس العقلية . .

فالاعتــزال غلا وانحـرف لما أفـرط في الاعتـماد على المنـاهـج الفلسفية . . الحضارية . وإخوان الصفا جنحوا جنوحًا شديدًا لما حاولوا «اختراع دينٍ ملفق ، انبهارًا بالطقوس الوثنية في الأديان «الحضارية» في أيامهم . .

فنظموا من المزدكية والزرادشتية والبرهمية . . ومن المجوسية واليهودية والنصرانية ومن الإسلام (!!) عقدًا سلكوه في خط واحد هو رسائل حكمائهم التي اعتبرت ولا تزال رسائل حكمة وهدىً . . واستنارة ما بعدها استنارة !!

ومضى منهج الانبهار مع من عليهم علامات استفهام في تاريخنا من الباطنية كالشيخ الرئيس وغيره . . بسبب أرسطو والانبهار بأرسطو . .

---

٥٤ - يقول سلامة موسى في «اليوم والغد» : «إن اصطناع القبعة أكبر ما يقرب بيننا وبين الأجانب ، ويجعلنا أمة واحدة ، فهي رمز الحضارة !! يلبسها كل رجل متحضر» !! فماذا يقول أصحاب القشور واللباب ؟!

ويمضي هذا المنهج في عصرنا على أشده . . استثمارًا لمرحلة الاستضعاف التي تمر بها الأمة والتي لوت أعناق هؤلاء وقلوبهم إلى شيء آخر غير ما ينبغي أن يكونوا عليه كمسلمين ومثقفين . . وجعلتهم يؤمنون بالغرب ابتداء من القبعة !! وحتى التشكيك في الخالق سبحانه وتعالى[٥٥] .

إلا أن الأمر الذي يشغلني في هذا الملمح هو تأثر بعض رموزنا ـ إلى حدٍّ ما ـ بهذه القضية ، واعتبارها أمرًا يفرطون في الاهتمام به !!

فأما التخطيط للدعوة في أوربا بواقعية ووعي وبعد نظر ، ومن خلال دعاة متميزين من مستوى حسان حتحوت وجمال بدوي ومزمل صديقي ونظير خاجة وديدات ـ بارك الله فيهم ـ فهو أمر ضروري لا يرفضه إلا جاهل . . أو عدو . .

لكنه أيضًا ينبغي ألّا يشغلني هنا ، ولا أنزل المناهج التي تصلح لأوربا هنا . . في قلب العالم الإسلاميْ ، فلكل منطقة ظروف وأولويات وفقه يراعي الواقع . . وهو أيضًا ليس إليّ ولا إلى الدعاة في المدن والقرى والنجوع . .

ومراعاة «أوروبا» وجبر خاطرها ينبغي ألّا يزعجنا كثيرًا . . فأعتقد أننا حتى لو تخلينا عن كل شيء ـ جدلًا ـ وتعقلَنّا وتعلمَنّا وكفرنا بالله عز وجل فلن يرضى عنا اليهود ولا النصارى والشيوعيون الحمر . . مهما قلدناهم ، وجاريناهم ، ولبسنا لهم قبعات ، وتمطّقنا بلكناتهم ، وهذا كلام الله تعالى وليس كلام أحد سواه !

فهم عنصريون متعصبون . .

أفتراهم يرضون عن أهل الفلبين أو البرازيل أو كوبا لما اتبعو ، ؟!!

هل أكرموهم . . وهم مثلهم كفرًا وإلحادًا وخبطًا في التصور والعقيدة ؟!

بل هم أخس . .

لذا ينبغي أن أفكر وأضع المناهج لدعوتي ، وقد فرغت قلبي ـ كما يقول العلامة سيد قطب رحمه الله تعالى[٥٦] ـ من كل غبش وخبل ، ليقوم تصوري نظيفًا من كل

---

٥٥ ـ خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، ص : ١٥

٥٦ ـ هو حسين أحمد أمين الذي قال : لدى مفكرينا من الصفاقة ما يسمح لهم بالحديث عن مادية الغرب وروحانية الشرق ، مادية الغرب التي أنتجت للبشرية موسيقى باخ . . إلخ أساطير ،

رواسب الجاهلية قديمها وحديثها .

فلا أحاكم النصوص ، ولا أستلهم المعاني وفق مقررات عقلية ، ولا مقررات شعورية من رواسب الثقافات التي لم تشتق من القرآن ذاته .

وهل كان المسلمون الأول أسبق حضاريًا من الفرس والرومان ! !

أفلم يفتحوا الدنيا دونما انبهار أو تأثر ؟ !

إن التاريخ يذكّرنا بالموقف المتعالي العجيب للصحابي الذي دخل ببساطته ، وبداوته ، وثيابه المرقعة ، وسيفه الملفوف بالخرق . .

دخل رافع الرأس إلى حيث البسط والنمارق والزرابي المبثوثة ، وحيث الحرير والديباج ، والخيول المجللة بالخز والذهب والفضة . . فيدوس هذا كله باستعلائه بدينه ، ويلقيها غراء ناصعة بوجه الفارسي :

جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده . .

ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . .

ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ! !

ولو كان للانبهار تأثير ، لكان أولى الناس بالانبهار هذا الصحابي العظيم ربعي بن عامر رضي الله عنه . .

إن بعضنا يستنكف تحريم الموسيقى[٥٧] .

ليس لأن النصوص تبيح ، أو لأن الأمر خلافي . .

بل دليله المفحم هو ألّا يهدر موسيقى باخ وإخوانه ! !

وبعضنا لما علم عشق الأوربيين بل تقديسهم للموسيقى ورموزها الكبار كبيتهوفن وباخ وفيردي ، وفاجنر في الأوبرا ، وشكسبير في المسرح . .

(ولا أدرى لماذا لم يذكر ماريا كالاس ، وترافولتا ، ومادونا ومايكل جاكسون) لما علم ذلك علق متسائلاً :

---

٥٧ ـ السنة النبوية ، ٧٩ ، واقرأ أيضًا صفحة ٥٨ ، ٥٩ ، ومستقبل الإسلام خارج أرضه ، ٥٥ ـ ٨٧ على سبيل المثال لا الحصر .

هل أطلب إليهم إلغاء الفنون الجميلة جملة وتفصيلاً[٥٨] .

وهذا مبرر من أعجب المبررات وإهمالٌ لشرع المتقدمين علينا حضاريًّا !!

إن الحلال أحله الله تعالى . .

وإن الحرام حرمه الله تعالى . .

ولا ينبغي أن يقوم مثل هذا التفكير حجةً ودليلاً . . إلا في أولويات الدعوة هناك في الغرب . . لا في أصل الحكم الشرعي . .

> **إن الغــربي كما يقــول فضيلة الشيــخ الغــزالي [٥٩] (يهتم بالأصول لا بالفروع . . ويزن النهضة بثمراتها المادية والأدبية وهو لا يكترث للياباني مثلاً إذا أكل الأرز بالأقلام والعصي» إنما يرمقه بدهشة وهو يبدع الأجهزة . . أو وهو يقلده في عمل ، ثم يصل بعقله اللماح إلى أبعاده ، ثم يسبقه إلى إنتاجه).**

وهذا صحيح ومعقول . . ويعني أنه لن يبالي بالمسلم إذا أكل بيمينه ، أو لم يكن له علم بأسماء بيوت الأزياء العالمية ، أو لبس ثوبًا واشتمل كوفية .

وأزيد عليه أن الأوروبي **ينصف من نفسه** فلو اقتنع بشيء ما بالى وما اهتم . .

أما وضع النظرة الأوربية لشيء بالقبول أو الرد ، وخوف ألسنة «الخواجات» وجعل ذلك دليلاً «شرعيًّا» إضافيًّا ، فهذا مرفوض . .

فالتمحيص العلمي هو الفيصل . .

والأرجحية الاجتهادية هي المعتبرة ابتداءً وانتهاءً ، وللأولويات ميدانها وحجمها وضروراتها .

---

٥٨ ـ مستقبل الإسلام خارج أرضه ، ص : ٧٣

٥٩ ـ غير ما قيل عن تراجع آحاد من هؤلاء عن «بعض» أفكارهم التي تبنوها زمنًا ، كمحمد عمارة ، وقد قيل لي إنه لما خالف أو تراجع في بعض المسائل هاجموه ، وسحبوا منه نيشان الاستنارة فاعتبره د . فؤاد زكريا متخلفًا على صفحات العربي !!

الملمح الثامن

الحكم قبل المداولة

ومن ملامح العقلانيين أنهم ـ في معظمهم ـ يحددون مسبقًا موقفهم من التراث الإسلامي دون أن يجهدوا أنفسهم في التعرف عليه والاطلاع على ما فيه ، ثقةً بما لديهم من مفاهيم «سابقة الصنع» وإن كان ما بين أيديهم بضاعة خسيسة يسومها كل مفلس .

غير أن القليل منهم يملك الشجاعة للإبانة عن محصوله الحقيقي من المعرفة بالإسلام ، وأنه لم يخض لجحه ولم يقتحم آفاقه . .

وأكثرهم يناطح ويكابر . . ويدعي أن لديه من المعرفة بالإسلام أكثر مما يملك كل مجتهدي الإسلام في كل العصور ! !

وهم أشبه بالآلة المبرمجة أو الجهاز الذي يدخل إليه «ديسك» بمعلوماتٍ «معلبة» فيظهرها على شاشته . .

والبرامج الآن شرقية حمراء أو غربيةٌ جحود . . وهم ليسوا مستعدين لتغييرها ـ مهما كانت الظروف ـ لأنهم لا يملكون شجاعة أهل الفكر الغربيين . . وليسوا مستعدين للتخلي عنها لأنها غالبًا بقرة حلوب . . وينبوع سمن وعسل . . وليسوا مؤهلين للتفكير فيها ومراجعتها استكبارًا . .

﴿استكبارًا في الأرض ومكر السيىء ، ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله ، فهل ينظرون إلا سنة الأولين﴾ فاطر : ٤٣ .

ولذا فإن مواقفهم الفكرية متصلبة ، رغم وجود فرص المراجعة بعد المدّ الإسلامي العارم في العقدين الأخيرين[٦٠] .

---

٦٠ ـ انظر : ثقافة الداعية ، ص : ٣٤ . . واقرأ تهافت الفلاسفة بتقديم سليمان دنيا . . واقرأ للدكتور محمود قاسم ، في دراسات في الفلسفة الإسلامية ١٨٦ ، قوله : وفيما مضى كنا لا نخفي عجبنا من إلحاح الغزالي في تكفير أبي نصر الفارابي وابن سينا مع تسامحه وتساهله مع

فهم إذن كالقاضي يصدر حكمه قبل المداولة ، بل قبل الاستماع للشهود ، وفحص الأدلة ، لأن الحكم قد جهز له سلفًا ، وليس عليه إلا الاستدلال عليه بأية شبهة ، ثم النطق بأقصى عقوبة على المتهم . . المجرَّم سلفًا !!

وهذا الوضع هو ما عبر عنه سلفنا «الصالح» بأن يعتقد ثم يستدل . . مع أن الترتيب الصحيح أن يستدل أولاً ثم يعتقد !!

ومن أول طريق العقلنة رأينا **ابن سينا** وأمثاله من الفلاسفة في العصور الإسلامية قد اعتقدوا صحة ما ذهب إليه أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان في الإلهيات والطبيعيات وغيرها ، فلما اصطدم ذلك بآيات القرآن الوفيرة طفقوا يؤولونها تأويلات ترفضها اللغة كما يرفضها الدين ، حتى كفّرهم الغزالي ـ أبو حامد ـ ومن بعده في ثلاث مسائل معروفة أنكروا فيها ما هو معلوم من الدين بالضرورة[٦١] .

وهذه ـ فضلاً عن كونها مغالطة علمية وسقوطًا في المنهجية ـ **عقيدة نصرانية** يؤكدها **القديس أنسلم (١٠٣٠ ـ ١١٠٩)** رئيس أساقفة كنتربري بانجلترا عندما يقول لأتباعه :

> **يجب أن تعتقد أولاً بما يعرض على قلبك بدون نظر ، ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت ، فليس الإيمان في حاجة إلى نظر عقل**[٦٢]

وقد لمح هذا المنهج الساقط شيخ الإسلام **ابن تيمية** رحمه الله تعالى في عقيدة الاعتزال ومنهج المعتزلة فقال في مجموع الفتاوى[٦٣] :

= جميع المقلدين الآخرين ، لكن بدأت تخف حدة هذا العجب ، ولم نعد نؤمن أن الفارابي وابن سينا اجتهدوا في التوفيق بين الدين والفلسفة عن رغبة مخلصة ، لا من أجل تقويض الدين في نفوس المؤمنين به . . انظر العقل عند الغزالي : ٤٥٥ ـ حولية (٦) وانظر أيضًا شرح نونية ابن القيم ج : ٢ طبع المكتب الإسلامي ، ص : ٧ ـ ٨ و ١٧ ـ ١٩

٦١ ـ تحديات لها تاريخ . ص : ٩٥

٦٢ ـ خصائص التصور الإسلامي ١٥

٦٣ ـ ج : ١٣ ـ ص : ٣٥٨

إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأيًا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه . وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المفسرين ، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم . .

ومنهجنا في استلهام القرآن الكريم - بل هذا هو المنهج العلمي الصائب في فنون العلم كافة - ألا نواجهه بمقررات سابقة إطلاقًا ، لا مقررات عقلية ولا مقررات شعورية من رواسب الثقافات التي لم نستقها من القرآن ذاته نحاكم إليها نصوصه أو نستلهم معاني هذه النصوص السابقة .

فلقد جاء النص القرآني ابتداءً لينشىء المقررات الصحيحة التي يريد الله تعالى أن يقيم عليها تصورات البشر ، وأن تقوم عليها حياتهم .

وأقل ما يستحقه هذا التفضّل من العلي الكبير وهذه الرعاية من الله ذي الجلال - وهو الغني عن العالمين - أن يتلقوها وقد فرغوا لها قلوبهم وعقولهم من كل غبش وخبل ، ليقوم تصورهم الجديد نظيفًا من كل رواسب الجاهليات - قديمها وحديثها على السواء - مستمدًا من تعاليم الله وحده ، لا من ظنون البشر التي لا تغني عن الحق شيئًا .

ليس هناك إذن مقررات سابقة نحاكم إليها كتاب الله تعالى ، إنما نستمد مقرراتنا من هذا الكتاب ابتداءً ، ونقيم على هذه المقررات تصوراتنا ومقرراتنا . وهذا هو وحده المنهج الصالح في مواجهة القرآن الكريم[٦٤] .

وهذا المنهج الرديء - منهج الاعتقاد ثم الاستدلال - هو السائد بين العقلانيين . فهم - في الجملة - بلا اطلاع - عميق ومستقيم - على أصول الإسلام وتراثه . . بل رُبُّوا هنا أو هناك ، وتمت برمجتهم في أوكسفورد وكامبردج والسربون وغيرها[٦٥] ، فعادوا من هنالك عاشقين للغرب عاقين للإسلام ، متيمين بالحضارة المادية ساخطين على «الرجعية والتحجر» .

---

٦٤ - مباشرة ، او بطريق غير مباشر بواسطة أساتذة من خريجيها أو ممن كانوا تلامذة للمستشرقين غير المنصفين .

٦٥ - والدكتور زكي يتميز كثيرًا عن غيره بأنه موضوعي ويصدر عن قناعات فعلية وهذا حق نسوقه ، وكلامه التالي من تجديد العقل العربي ، التقديم ، ص : ٥ - ٦

وها هو الدكتور **زكي نجيب محمود** يعترف بشجاعته[٦٦] أنه قضى معظم سني عمره متعبدًا في محراب الغرب والفلسفات الغربية المادية دون أن تكون له «أدنى صلة» بالتراث الإسلامي :

(فهو واحد من «ألوف المثقفين» العرب الذين «**فتحت أعينهم**» على فكر أوربي ـ قديم أو جديد ـ حتى سبقت إلى خواطرهم ظنون بأن «**ذلك هو الفكر الإنساني الذي لا فكر سواه** ، لأن عيونهم لم تفتح على غيره لتراه ! !

ولبثت هذه الحالة معه أعوامًا بعد أعوام :

الفكر الأوربي دراسته وهو طالب .

والفكر الأوربي تدريسه وهو أستاذ .

والفكر الأوربي مسلاته كلما أراد التسلية في أوقات الفراغ .

وكانت أسماء الأعلام والمذاهب في التراث العربي لا تجيئه إلا «أصداء» مفككة متناثرة كالأشباح الغامضة ، يلمحها وهي طافية على أسطر الكاتبين ! !)

«استيقظ صاحب هذا الكتاب ـ ولا يزال الكلام للدكتور زكي في تجديد العقل العربي ـ بعد أن فات أوانه أو أوشك ، فإذا هو يحس الحيرة تلازمه ، فطفق في بضعة الأعوام الأخيرة التي قد لا تزيد على السبعة أو الثمانية يزدرد تراث آبائه **ازدراد العجلان**» .

ومع تقديرنا الشديد لشجاعة الأستاذ الدكتور التي لا يتحلى بها فصيل العقلانيين ، فإنه كان ـ منذئذٍ ـ قد اتخذ موقفًا مسبقًا من الإسلام والتراث لا يزال يملي عليه منهجه الحالي رغم التحسن الطفيف الذي طرأ عليه ، فقد صار يدعو إلى «**تلقي الحوافز من الدين مصدرها الأول أو مصدرها الوحيد**» على حد تعبيره[٦٧] وصار يدعو إلى محور أو نقطة ابتداء لترتيب نتيجة من صميم البناء الثقافي وهي توحيد القيم التي نهتدي بها في مسيرة حياتنا مأخوذة من الدين[٦٨] .

---

٦٦ ـ هذا العصر وثقافته ، ص : ٢٣٩

٦٧ ـ هذا العصر وثقافته ، ص : ٧٦ ـ ٧٧

٦٨ ـ الأهالي القاهرية ، عدد ١٠٤ ، عن غزو من الداخل : ٨٣

ورغم هذه التصريحات المتناثرة في كتبه التي ألفها بعد «التجديد» فإن منهجه العام لا يزال هو هو ! !

وقل مثل هذا ـ عدم التوغل في مصادر الإسلام وتراثه الفكري ـ في فؤاد زكريا ومحمد نور فرحات ونوال السعداوي ـ رغم دعواها الكاذبة بأنها «تقرأ القرآن من خمس وعشرين سنة ولم تجد آية واحدة تنص على تحجيب المرأة ! !»[٦٩] .

فإن تفاهة النتيجة وسقوطها تدل بوضوح على سقوط المقدمة .

وهناك فريق ثانٍ من العقلانيين اتخذوا موقفًا مسبقًا رغم قراءاتهم في كتب التراث ، ونكاد نقطع أنها أيضًا من المدخل التعسفي نفسه :

من باب الحكم قبل المداولة ،

بل قبل المرافعة ! !

بل قبل إعطاء المتهم فرصة الدفاع عن نفسه ، أو سماع رأيه فيما يُدعىٰ عليه . .

لأن هذه القراءات ـ وببساطة شديدة ـ قراءات انتقائية . . تبحث في أطواء الكتب ، وفي أثناء أحداث التاريخ ، ومن خلال الكتب المشبوهة التي لا تعد ـ من حيث الأمانة والوثاقة ـ مراجع ذات بال ، يبحثون عن حادث يمكن أن يوصم به الإسلام ، أو عن شخص خارج منحرف ، ليصنعوا قصة وحدثًا . .

ويضعوا على وجه تاريخنا الأغر لطخة سوداء مستقذرة . .

ولطخة بعد لطخة تصير الغرّة حلكة وسوادًا ! !

وقد سمى الأستاذ **فهمي هويدي** هذه العملية الانتقائية تسميةً لطيفةً جدًّا ، ومنصفةً جدًّا هي : **البحث عن القمامة في مزابل التاريخ**[٧٠] .

ويحكي لنا أنه سمع من يستكثر على الأمة أن يكون لها سلف . .

السلف الذي يدعى بالصالح ! !

فيروي عن «السفير» حسين أحمد أمين أنه سمعه يقول :

---

٦٩ ـ تزييف الوعي ، ص : **٣٥** وما بعدها .

٧٠ ـ دراسات في الوعي بالتاريخ ، ص : **٢٩** وما بعدها ، والكتاب يلوي حقائق الدنيا كلها ويلبسها ثوبًا أحمر مقيتًا .

إنه يشعر بالفرح والغبطة عندما يعثر في كتب التاريخ على مثالب الصحابة والرموز الإسلامية (!!) فيقول معلقًا :

قفزت إلى ذهني فكرة البحث في القمامة ، لكني استحيت أن أصرح بها أمام الآخرين فاكتفيت بإشارة مخففة إلى المعنى وقلت :

هكذا يفعل موظفو البلدية الذين يجوبون الشوارع والأزقة . . لا تقع أعينهم إلا على مخالفات النظافة !!.

وهذه المدرسة الانتقائية لها أبطال مبرزون ، قضوا أعمارهم ينتقون من المزابل «الأطايب» ليشوهوا التاريخ ويحولوه إلى ماركسية ، أو إلى ثورات وتمرد ، أو إلى قمع وإذلال ، أو إلى طبقية واستغلال . .

وآخر نكتة قرأتها كانت عن الحاكم بأمر الله . .

فقد أصر محمد عمارة على أن كل من كتب عنه لم يع التاريخ ، ولم يقدر هذا الرجل الفذ . . وتسقط الحقائق[٧١] .

وقبله كان حمدان قرمط ، والأسود العنسي ، وبشر المريسي ، والمختار الثقفي و . . و . .

وقد راد طريق الانتقاء ـ بعد المستشرقين ـ مجموعة من الكبار :

العميد طه حسين الذي صور لنا تاريخ الإسلام تاريخ مجون وشذوذ ، وجبروت . . ثم مضى بعده آخرون ليس آخرهم فيما أعتقد صالح جودت ـ صاحب شعراء المجون ـ ولا الشرقاوي ولا حسين أمين . .

---

٧١ ـ أساطير المعاصرين : ١٤٠ .

الملمح التاسع

بين الجرأة والإنكار

وللعقلانيين من سنة رسول الله ﷺ موقفان رديئان .

الأول : الاجتراء والتطاول عليها ، وعدم المبالاة بالقواعد التي قعدها «أهل الحديث» والتزم بها المجتهدون من الأمة . .

وهم يكادون يكونون قرآنيين لشدة تجرئهم على السنة ، وشدة تعويلهم على النص القرآني وحده .

وتاريخ الفرق الإسلامية يذكر بوضوح أن المعتزلة هم أول من فعل ذلك ، وعلى وجه التحديد كان إبراهيم بن سيار النظّام بالذات هو الذي أراد ذلك[٧٢] .

فهم إذن يخترقون الضوابط الحديثية التي قام عليها «الجهابذة» والتي استقرت منذ بدء الاهتمام بجمع السنة وتدوينها ، بل هم كثيرًا ما يردون الصحيح ويقبلون الضعيف . .

واخترعوا قاعدتين جديدتين لعلم المصطلح أولاهما «**علة الشذوذ العقلي**» لرد الصحيح ، وقاعدة «**نور النبوة**» لقبول الحديث الضعيف . .

وقد مرّ أن الشذوذ العقلي هو رد الحديث الصحيح الذي لا يوافق العقل . .

أما قاعدة «**نور النبوة**» فأعني بها أن يكون الحديث «**مضروبًا**» قد تركه العلماء المختصون ورفضوه لكن هؤلاء يقبلونه لأن عليه «**نور النبوة**»

«فمن مناهج المعتزلة التشكيك في الأحاديث التي تصطدم بمبادئهم وإن علت درجتها في الصحة ، أو يؤولونها تأويلاً باطلاً . بل ويتجاوزون إلى تجريح راويها الصحابي ومن

---

٧٢ ، ٧٣ - منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، ٦٢ - ٦٦ ، موقفهم من التفسير بالمأثور ، وفي الكتاب تفصيل مهم حول هذه القضية أستحسن الرجوع إليه للفائدة .

دونه ، وذلك إذا كان الحديث مصادمًا لمبدأ من مبادئهم . بينما يستشهدون بالأحاديث الضعيفة بل والموضوعة ، ويعضون عليها بالنواجذ لنصرة مذهبهم الاعتزالي»[٧٣]

فالمعتزلة كذبوا أحاديث رؤية الله تعالى التي رواها ثلاثون صحابيًّا . ورفضوا حديث استهلال ابن آدم من مس الشيطان وهو في الصحيحين وغيرهما ، وردوا أحاديث انشقاق القمر .

وهؤلاء أنفسهم يتمسكون بأحاديث ضعيفة أو موضوعة لبيان أصل من أصولهم . فيستشهدون مثلاً بما روي عن علي رضي الله عنه : «أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن شنىء الفاسقين وغضب لله غضب الله له» وهو حديث أسقطه ابن حجر العسقلاني والذهبي لما فيه من كذابين متروكين[٧٤] .

وردت المدرسة الوسيطة الحديث بصورة تدعو للحيرة ، فالشيخ محمد عبده كان متشددًا جدًّا في قبول الحديث فيصرح أن «الذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته ، وعدم الاعتقاد بما ينفيه .

وبناء على ذلك رد أحاديث سحر الرسول ﷺ الثابتة في الصحيحين[٧٥] وكثيرًا غيرها» .

وللمدرسة المعاصرة موقف مماثل فقد سارت على الخط نفسه في التعامل مع السنة وأثارت بعض مؤلفاتها جدًلا محمومًا ومنها كتاب الشيخ النمر عن السنة الذي وصفه الدكتور موسى لاشين في محاضرة له أن ما فيه أخطر من كلام اليهود والنصارى على السنة . وأيضًا كتاب فضيلة الشيخ الغزالي عن السنة الذي أثار ردود فعل واسعة وغير خافية ، وخرجت عشرات الكتب القيمة أو العادية ترد عليه وتناقشه .

---

٧٤ ـ المرجع السابق ، ولاحظ أيضًا أن تعاملهم مع القرآن فيه الكثير من التأويل ورد كثير من المغيبات بجرأة ، فكلامه السابق ليس على إطلاقه فيما نرى .

٧٥ ـ المرجع السابق ، باختصار شديد وتصرف .

الثاني : موقف المدرسة المتطرفة :

فأما المدرسة المتطرفة فهي تلغي السنة كلها ، وربما ألغى بعضها الدين كله !!

- ففي الماضي القريب أنكر الدكتور توفيق صدقي حجية السنة في مقاله (الإسلام هو القرآن وحده) الذي نشر بالمنار (العددين ٧ ، **١٢** ـ السنة التاسعة) .

- ونشر إسماعيل أدهم رسالة زعم فيها أن أحاديث كتب الصحاح ليست ثابتة الأصول والدعائم ، وثارت حول هذه الرسالة ضجة ضخمة انتهت بمصادرتها !!

- وفي سنة **١٩٥٧** ظهر محمود أبو رية ليكتب «أضواء على السنة» منكرًا حجيتها»[٧٦] وفي أيامنا خرج علينا كذابون كثيرون :

- صبحي منصور الذي أنكر السنة كلها ولفظته جامعة الأزهر .

- مسيلمة الكذاب الجديد «رشاد خليفة» الذي كتب الكثير من المنشورات طاعنًا في القرآن الكريم وفي السنة زاعمًا أن الأحاديث هي أقوال مفتراة منسوبة إلى النبي ﷺ . . وقد مد إبليس لهذا المجرم في الغي حتى أعلن النبوة العام الماضي ، ولدي منشور أصدره موقعًا بوظيفته الجديدة : محمد رشاد خليفة رسول الله ﷺ !!

- ومن الذين أفرطوا في الطعن في السنة المشرفة حسين أمين الذي تجاوز فاتهم «الأئمة والفقهاء وعلماء الحديث !!» بوضع النصوص واختلاق الأسانيد مجاراة لهوىً في نفوسهم أو تمريرًا لفتوى ، أو موافقة لسلطان جائر ، أو تأييدًا لتيار سياسي . .

ودعا إلى ذلك عبر مجلة الدوحة[٧٧] ثم في كتابه دليل المسلم الحزين .

والظريف أنه ـ أيضًا ـ وضع قواعد جديدة لمعرفة الصحيح من السقيم ، ومنها قاعدة « **ردّ كل ما يمجه التفكير السليم** » ، وضرب لذلك مثلاً حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا : «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله

---

٧٦ ـ عدد يناير ١٩٨٣

٧٧ ـ دليل المسلم الحزين ، ص : ٧٠

ويشرب بشماله»[٧٨] .

ويظهر حبه لرسول الله ﷺ باتهام الفقهاء جميعًا بالوضع والكذب على الرسول ﷺ «رغم أنه يرد حديث : من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار ، ويقول عنه إنه موضوع»[٧٩] .

وجعلهم جميعًا كذابين مدلسين فقال : «ظل الفقهاء دومًا يعملون فكرهم ، ويصلون إلى الرأي بالاجتهاد ، غير أنهم صاروا إذا أرادوا الخروج به وتدريسه يلجأون إلى وضع الأحاديث ، أو تفسير الأحاديث القائمة تفسيرًا يوافق آراءهم حتى يلقى الرأي قبولاً لدى العامة وأولي الأمر ، وحتى يخرسوا المعارضين»[٨٠] .

فالفقهاء إذن هم الذين جعلوا فكرهم دينًا !!

والأمة المغفلة آخر من يعلم !!

والأحاديث ملفقة موضوعة !!

وتأويل الأحاديث جاء ليوافق أهواء العامة !!

ولينافق أولي الأمر !!

وليخنق المعارضين !!

فأي بشر هؤلاء ؟! وأي أمة نحن ؟! وأي دين نعتنق ؟!

وصدق المصطفى ﷺ :

إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى :

إذا لم تستح . . فاصنع ما شئت !! رواه البخاري .

ولا شك أن ثمة المزيد من الملامح ، ولا شك أن خيوطًا كثيرة تربط ما بين مدارس العقل القديمة والوسيطة والحديثة ربما ييسر الله تعالى تتبعها ورصدها في دراسات تالية ، فبه الاستعانة وعليه التكلان .

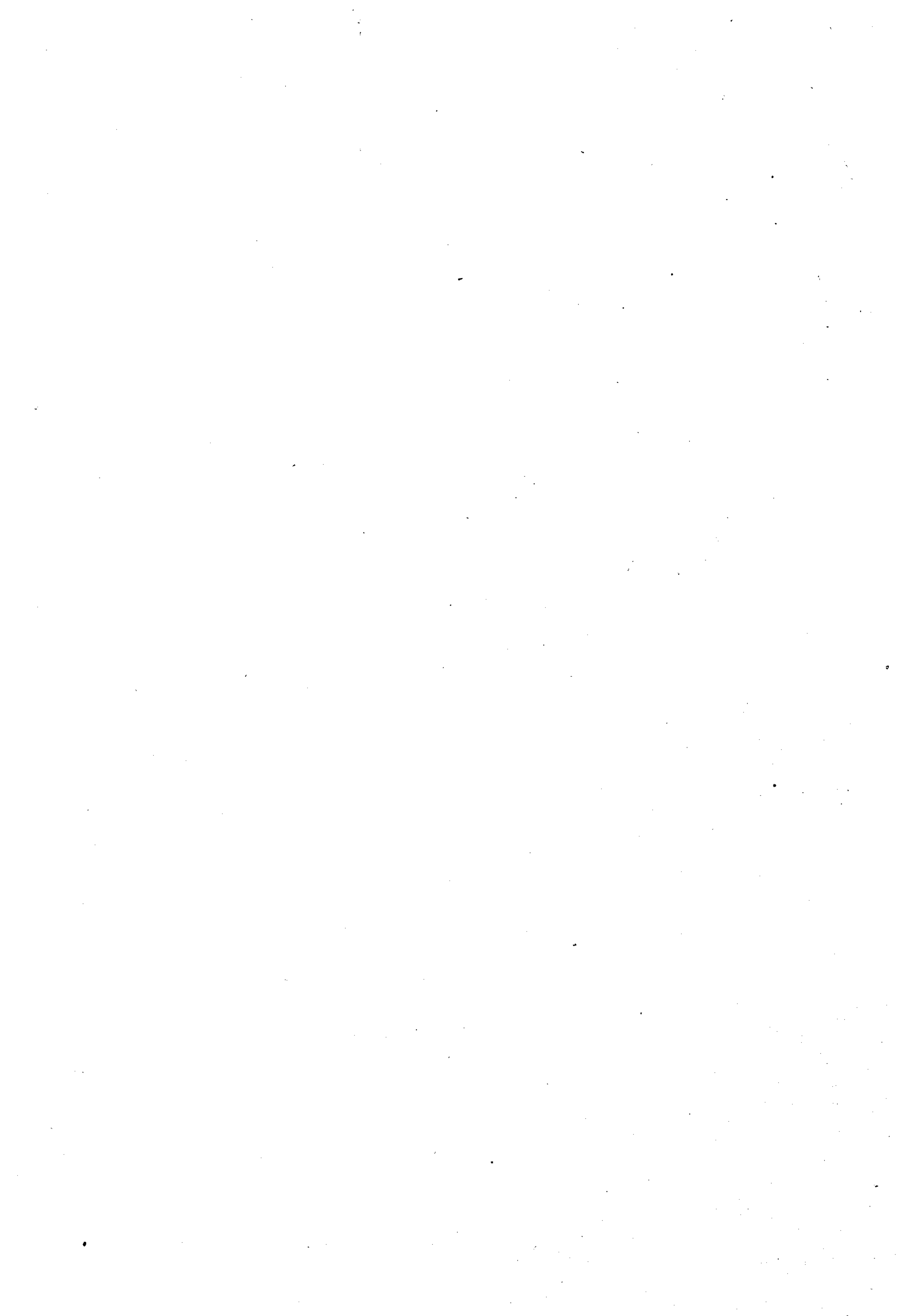
---

٧٨ - وهو من المتواتر اللفظي - أي أعلى الأحاديث صحة على الإطلاق ، ورواه ونقله بلفظه أكثر من سبعين صحابيًا بينهم العشرة المبشرون بالجنة !!

٧٩ - دليل المسلم الحزين ، ص : ٧٠

ملاحق

تعريف ببعض رجالات العقلنه



المستشار محمد سعيد العشماوي

المستشـار **محمد سعيد العشماوي** رئيس محكمة الجنايات ومحكمة أمن الدولة العليا - مصر - عمل وكيلاً للنائب العام وقاضيًا ورئيسًا للنيابة العامة وتقلب في عدة مناصب قضائية أخرى .

عمـل محاضرًا في القانون المقارن والشريعة الإسلامية في جامعات عدة منها الجـامعـة الأمـريكية بالقـاهرة وتوبنجن بألمانيا الغربية وأوبسالا بالسويد ومعهد الدراسات الشرقية بليننجراد - روسيا ، والسوربون بفرنسا وعدة جامعات أمريكية .

له عدة مؤلفـات منها حصاد العقل ، وتاريخ الوجودية في الفكر البشري ، والربا والفائدة في الإسلام ، وله بالإنجليزية : تطور الدين Development of Religion وجذور القانون الإسلامي Roots of Islamic Law ودراسات أخرى من أهمها كتابه عن «الإسلام السياسي» وهو في أصله محاضرات ومقالات نشرها متفرقة ثم جمعها تحت عنوان الإسلام السياسي . ومن جملة طروحاته في هذا الكتاب : فصل الدين عن السياسة لأن تسييس الدين أو تديين السياسة من أعمال الفجّار الأشرار أو الجهال غير المبصرين ، وأن تاريخ الإسلام تاريخ دموي قمعي كله ، يدور على الصراع بين القبائل والقبائل والفرق والفرق والأجناس والأجناس .

وأن الفقه الإسلامي خلو من أية نظرية سياسية وصفر من أي نظام سياسي متكامل ، وأن الغالب على اعتناقيات الناس الآن إسلام البداوة لا إسلام الحضارة الذي يمثله أغاني الأصفهاني وطوق الحمامة لابن حزم (!!)

وأن هناك صراعًا طبقيًا أدى إلى إفراز التيار الديني «الجاهلي» وأن الربا حرام بينما فوائد البنوك حلال زلال لأنها ليست أضعافاً مضاعفة ، وأن الجهاد في الإسلام هو الجهاد الأكبر ، جهاد النفس والهوى .

وأن القوانين الوضعية إسلامية لا تحتاج للإنكار ، وأن هناك أصولية روحية هي أصـولية إسلام الحضارة ، وأصولية حركية هي أصولية الإرهابيين من أصحاب الإسلام السياسي جميعًا ، لأن «جميع» الحركات الإسلامية المعاصرة كلها حركات

قومية وليست دينية ، وتيارات سياسية لا روحية ، واندفاعات جاهلية غير إسلامية بل ترفع الدين شعارًا تجتذب به الجماهير ، وأن المجتمع غير مطالب بالإصرار على تطبيق الحدود ، وأن الفقه الإسلامي مواضعات فقهاء وتطور تشريعي إنساني ، وأن أحكام الشريعة وقتية ، وله استطرادات أخرى كلها تدور على هذه المحاور .

وهو كثير الاعتناء بإيراد ألفاظ «إرهابية» وأشكال من السباب الذي يصادِر «جميع» التيارات الإسلامية المعاصرة ، ويرميها جميعًا بالتخلف والعدوانية وسوء النية . . فارجع إلى بعض أعماله تر مصداق ذلك .

الدكتور محمد عركون (أركون)

جزائري من مواليد ١٩٢٨ ، أتم دراسته بباريس ١٩٥٥ وحصل على الدكتوراه من السربون ١٩٦٩ حول الإنسية العربية في القرن الرابع الهجري ، وحاضر بالعديد من الجامعات الفرنسية والعربية .

معظم مؤلفاته بالفرنسية ، وهو علماني يدعو إلى التعامل مع الإسلام - والقرآن والسنة بالذات - بالمقاييس الغربية وبالاستفادة من المعطيات التي خلفها ماركس ونيتشه وغيرهما . ويعتبر الدين الذي ينتهجه الناس مجموعة من المعطيات البطريركية التي خلفها الفقهاء وأسبغوا عليها صبغة القداسة .

ومن آرائه أيضًا أن مفهوم الدين لم يبلور بلورة كافية للقيام بقصر نظرية لا نتردد معها أن نجزم بأن الأديان ما هي إلا أيديولوجيات (مجلة الوحدة : العدد ٦ - ١٩٨٥) .

وأن المحتويات العلمانية التقديرية للفكر الإسلامي التقليدي ستبقى في غير متناولنا ما دمنا نريد البقاء متشبثين بإسلام لا يعدو أن يكون دينًا يأمر ويسجن العالم أجمع ، ويرى الاتجاه إلى إقصاء جميع الخطب الأيديولوجية والتبرير الشرعي لمختلف إرادات القوة التي يشكل الاصطدام بها تاريخنا الماضي والحاضر (!!) الذي هو مجرد تاريخ أسطوري (!!) لا يزال يحكمنا إلى اليوم (المجتمع العالمي -

١٩٧٨) ويناقش ـ رادًّا ـ بعض نصوص القرآن المتعلقة بالمرأة معتبرًا إياها شكلًا من أشكال التخسيس والزّراية .

ونقل ـ للإيضاح ـ جزءًا من حوارٍ أجرته معه مجلة «لونوفيل أبسرفاتور» الفرنسية Le Nouvel Observateur فبراير ١٩٨٦م، يعكس جزءًا من طريقته في التفكير الـذي يعتمـد القفـز والمغـالـطات واستغفـال القـارىء من خلال مصطلحات «خواجاتية» يحاول أن يخضع لها الفكر الإسلامي فيقول :

المجلة : باسم القرآن تقطع أيادٍ ، ترجم نساء ، يفرض الحجاب ، تقام حروب مقدسة .

أركون : هذه الأفعال تقام باسم القرآن ولكنها في الواقع خيانة له :

Ces acts sont commis au nom du Çoran, mais ils en sont la trahison

وإن السلطات السياسية (!!) تفسر النص القـرآني بمفهومها الخاص . أما النص نفسه فهو مغطى ، محرف أو منسيّ .

مثلًا في تعدد الزوجات ، ماذا يقول القرآن ، يمكنك أن تنكح اثنتين أو ثلاثًا أو أربعًا من النساء . . نعم ، لكن : ماذا تقول بقية الآية ؟ على شرط أن تعدل بينهن ، العدل هنا لا يعني أن يكون لديهن نفس المتاع ، لكن كذلك نفس الحنان والحب بالضبط . وتقـول السـورة : إذا لم تستطع أن تكون عادلًا فلك واحدة فقط ، لكن من المستحيل أن يكون الإنسان عادلًا . فإذًا القراءة المتأنية للقرآن لا يمكن أن تؤدي إلا إلى منع تعدد الزوجات (!!) .

نفس الشيء يمكن أن يقال بخصوص قضايا أخرى . رمضان مثلًا : في يوم من الأيام دعا الرئيس بورقيبة أصدقاءه إلى تناول الطعام في رمضان ، كل الناس صدموا وقتها ، لكن قال لهم : إن النبي نفسه دعا صحابته إلى الأكل والشرب في رمضان . نعم هذا الاستثناء كان وقت حرب ، ولكن نحن كذلك في حرب ضد التخلف . فكـما ترين : القـرآن تتـوجب إعـادة قراءته . . والتفكير فيه بشيء مختلف (!!)

المجلة : لكن هناك أشياء النص فيها واضح .

أركون : بالعقل القرآن يقول : ﴿**للذكر مثل حظ الأنثيين**﴾ في مثل هذه الحالة الحسابية لا يمكن فعل أي شيء إلا إعادة طرح مسألة التفسير القرآني . **لا يمكننا أن نستمر في قبول ألّا يكون للمرأة قسمة عادلة (!!)**

فعندما يستحيل تكيف النص مع العالم الحالي .

عندما يكون علانيةً منبثقًا **عن وضع اجتماعي** لا يتناسب في شيء مع عالمنا الحاضر .

ينبغي العمل على تغييره .

إن التفسير يبقى دائمًا جائزًا بشرط أن **يعاد التفكير في مسألة التنزيل على ضوء التاريخانية .**

الحجاب مثلاً - ككل ما يمت إلى الجنس وإلى وضع المرأة في الإسلام - ينتمي لمخزون تراثي سابق على الإسلام .

الإسلام صادق على تقاليد قديمة متعلقة بأسس قبلية ، وأعطاها بعدًا مقدسًا (!!)

ويتعلق الأمر اليوم بإعادة التفكير في هذه المفاهيم على ضوء التاريخ .

وللأسف فإن هذا العمل في بدايته في الإسلام . . بحكم سيطرة الأيديولوجيا (انظر دراسة محمد بريش عن أركون مجلة الهدى - **١٩٨٥**) ومن آراء عركون رفضه للإسلام نظام حكم لأنه لم يكن كذلك لا تاريخيًا ولا عقائديًا !!

الدكتور محمد عمارة

من مواليد **١٩٣١** - مصر - تخرج في كلية العلوم - جامعة القاهرة - ونال منها الماجستير والدكتوراه .

وهو ممن كثّفوا دراساتهم وأطروحاتهم التي تعمل على تأصيل النظرة الشعوبية في المنطقة ، وممن يميلون إلى سلخ جلد التاريخ الإسلامي في عهوده كلها . وبذل جهدًا دؤوبًا لإبراز الحركات الثورية والعقلية المتطرفة ، في قوالب تميل إلى إظهار

أصحاب هذه الحركات في ثياب الإبداع الحضاري والعطاء الإنساني بينما وضع مخالفيهم في قائمة السلطوية أو الرجعية أو النصوصية .

من مؤلفاته : مسلمون ثوار ـ المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية ـ فجر اليقظة القومية ـ الإسلام والسلطة الدينية ، وغيرها كثير .

ومن آرائه في دراساته :

أن حروب الردة لم تكن دينية وإنما كانت في سبيل الأمر والسلطان والتوسع ـ المعتزلة وأصول الحكم : **٣٤٨**

وأن الشعوبية فرضت نفسها على كتب السنة التي اشترطت قرشية الخليفة ـ الإسلام وقضايا العصر : **٢٣**

وأن عمر رضي الله عنه كان رائد التمييز بين السياسة والدين !! مع معارضة جمهور الصحابة له ، وأنه بنى الدولة الإسلامية على هذا التمييز ـ المعتزلة وأصول الحكم : **٢٣٢**

وأن حركة الخوارج كانت التجسيد الحي لحرارة القيم الثورية التي جاء بها الإسلام ـ فجر اليقظة القومية : **١٣٣**

وأن الاشتراكية هي التطبيق الأمثل للإسلام (إننا إذا شئنا أن نقوّم هذه التجربة فلن نجد أكثر دقة ومطابقة للواقع من أن نقول عنها إنها محاولة جادة ومخلصة وعملاقة لتطبيق أفكار الاشتراكية !!) فجر اليقظة القومية : ٨٢

ويرى أن حركة القرامطة كانت نزوعًا عربيًّا نحو إقامة كيان عربي يكتسب ملامحه القومية بمرور الأيام .

وأن إخوان الصفا كانت حركتهم ثورية أنبتتها التربة العربية كرد فعل للظلم الاجتماعي والسياسي ، وللإرهاب الذي شنته السلطات الإقطاعية ضد كل ما هو متقدم في الحياة ـ السابق : **١٧٤** وما بعدها .

ويذهب ـ في العرب والتحدي ـ إلى عدم لزوم الإيمان بالإسلام لأن الجنة ليست وقفًا على المسلمين فقط ، ويميل إلى تغليب المصلحة على النص في معظم نواحي الحياة ـ الإسلام وقضايا العصر : **٢٥** ـ وله آراء كثيرة أخرى فيها نظر

ومراجعة لا تحتملها هذه الترجمة السريعة .

وعلى كل فإن من المشتهر الآن أن للدكتور عمارة تراجعات عن بعض فكره القومي واليساري المتعصب . وقد سمعته في لقاء تلفزيوني يتكلم بلهجة فيها اعتدال كثير غير معهود في كتاباته السابقة ، ولا شك أن في تراجعه مكسبًا كبيرًا للفكر الإسلامي المتوازن ، غير أننا نطالب الأستاذ الدكتور بلزوم إظهار هذا التراجع بوضوح ، خصوصًا وأنه يعيد طبع كتبه القديمة كلها دون ظهور دليل - في حدود علمي - يدل على إنكاره ما فيها أو تعليقه عليها كما فعل الأستاذ خالد محمد خالد مثلاً عندما تراجع عن رأيه في فصل الدين عن الدولة الذي تبناه قبل أربعة عقود (١٩٥٠) وذلك حين كتب صراحة في الأخبار القاهرية في **٢٣ / ٨ / ٧٧** مقالة عنوانها : دينٌ ودولة ، وعبادة وخلافة ، قال فيها إنه يرجو أن يجيء كلامه تصحيحًا لرأيه السابق الذي أبداه في (من هنا نبدأ) .

وسيكون هذا موقفًا شجاعًا يشفي صدور المؤمنين ويقيم الحجة على الاتجاهات الشعوبية واليسارية التي عششت في بلاد المسلمين .

الدكتور حسن حنفي

الدكتور **حسن حنفي خشبة** : أستاذ جامعي مصري ، درّس بجامعتي القاهرة وفاس، وله مشروع عنوانه «التراث والتجديد» صدر منه الجزء الأول ، وله دراسات تناول فيها الموقف من الفكر العربي والغربي المعاصرين ، وله دراسات في أصول الفقه وغير ذلك .

والدكتور **حسن حنفي** رائد تيار اليسار الإسلامي ، وأحد أبرز منظّريه . وله بحث بعنوان : ماذا يعني اليسار الإسلامي ، كما أصدر مجلة بعنوان : اليسار الإسلامي صدر منها عدد واحد فقط ، وهو نشط يطوف المحافل والمؤتمرات «الملونة» بوصفه المفكر الإسلامي حامل لواء التجديد ، وموري زند اليسارية الإسلامية . ساهم في تصدير إحدى الثورات المعروفة إلى مصر قبل أن يحس الناس بآثارها الحقيقية التخريبية وذلك حين حقق وقدم دستور هذه الثورة في شكل كتابٍ مهم من تأليف إمامها .

ويشاع أنه يعتبر نفسه مجدد القرن الخامس عشر الهجري !!

ومن خلال آرائه نلاحظ دون مشقة ميله الشديد للاتجاه الماركسي أو العلماني ومحاولة تنزيلهما على الميراث الإسلامي كله ، فهو يقول مثلاً : إن التراث والتجديد ليس عملاً للبرجوازية حتى ولو كانت وطنية ، بل هو عمل لطليعة الطبقة العاملة ، لأنه إعادة لتفسيرات التاريخ من وجهة نظرها وبناء على متطلباتها ـ التراث والتجديد : ص ٦٤

ويرى أن الدول لا يجوز أن تقام على أساس ديني ، فمن السخف «البحث عن هوية فرعونية أو قبطية أو عربية أو إسلامية» السابق : **٢٠**

ويرى أن (العقلانية والعلمانية والعلمية والديمقراطية والطبيعية والإنسانية والتقدمية كلها اتجاهات إسلامية إذا ما أعيد بناؤها وتوسيعها خارج النطاق المحلي الأوربي) لأن هذا يمكّن من (التلاحم مع الثورة في كل مكان سواء في الفكر والثقافة أو الواقع العملي) الحكومة الإسلامية : **٢٩**

ويرى أن فرض الحجاب وتقسيم الناس على أساس جنسي ـ ذكورة وأنوثة ـ والأمر بغضّ البصر وغير ذلك دعوة ضيقة لا تدل على فضيلة بل تدل على رغبة جنسية مكبوتة أو هو حرمان جنسي في حالةٍ من التسامي والإعلاء (التراث والتجديد **٤٢**) . كما يذهب إلى أن العلمانية هي أساس الوحي الذي هو علماني في جوهره و«الدينية سمة طارئة عليه من صنع التاريخ ، لأن الدين مواضعاتٌ تضفَى عليها قداسة» كما يذهب إلى ذلك عدد من أصحاب هذا الاتجاه ، وله آراء أخرى مضمنة في كتبه ودراساته فارجع إليها .

الأستاذ حسين أحمد أمين

هو ابن الكاتب الكبير الأستاذ **أحمد أمين** ، ولد بالقاهرة : **١٩٣٢** ، وتخرج في كلية الحقوق **١٩٥٣** ودرس الأدب الإنجليزي بجامعة لندن ، وتنقل في أعمال كثيرة منها المحاماة والإذاعة والسلك الدبلوماسي الذي وصل فيه إلى درجة سفير سنة **١٩٨٦** ، وهو كاتب نشيط ساخر لاذع اللسان .وله مؤلفات عدة منها :

الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين والعرب المعاصرين لها - معضلة الرجل الأبيض - التراث وتحديات العصر - التسامح الديني والتفاهم بين المعتقدات .

ومن أهم كتبه وأخطرها كتابان صدرا - أولاً - على شكل مقالات بالصحف والمجلات العربية ثم جمعها تحت عنواني دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين ، وحول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية . . وقد لقي الكتابان - لخطورتهما - ردّ فعل متباينًا ، فبينما رفضهما وسفههما ورد عليهما كثير من الإسلاميين من خلال كتب ومقالات ، قابلتهما الأوساط العلمانية واليسارية بترحاب وفرحة سجلها المؤلف في السفر الذي يجمع الكتابين معًا - من إصدار مكتبة مدبولي ١٩٨٧ .

من آرائه أن الشريعة الإسلامية - إذا ما درست وحللت دون أفكار مسبقة - ليست إلهية بالكامل ، إنما هي نتيجة تطور تاريخي لجملة عادات وتقاليد وانتماءات متعددة وأحيانًا متناقضة ، وهو ممن يقولون إن العالم الإسلامي لن يلعب دورًا قياديًّا على الساحة الدولية إلا حين يخضع - بعد عشرات السنوات - للاتحاد السوفييتي ليكتسب حينئذٍ وجودًا فعالاً في الميدان العالمي (!!)

ويدعو حسين أمين إلى قراءة التراث قراءة عقلانية ماركسية - انظر تفسيره بمجلة العربي - ولا يهتم كثيرًا بالنص ولا يسلم بقداسته .

ويرى أن العودة (لعادات وتقاليد الصحابة) ضعف وعرقلة لكل تقدمية وسبيل للرجعية - رأيهم في الإسلام : ٧٩ وما بعدها - ومن آرائه في كتابيه السابقين وفي مقالاته بالصحف والمجلات : أن الحجاب ليس من الإسلام وإنما هو تقليد من التقاليد والمواريث الاجتماعية ، وأن شهادة المرأة تساوي شهادة الرجل ، وأن بالقرآن سورًا ناقصة أو مدخولة ، وأن الأئمة ساهموا بوضع الحديث على رسول الله ﷺ ويشكك في السلف الصالح ويتهمهم ويرفض الحدود ، ويقول إن القرآن قدم للناس خير قوانين تصلح لزمان البدو وأهل الجاهلية ، وأن بعض المعتقدات كالإيمان بالقدر هي من عقائد البدو وأن الشريعة الإسلامية قابلة للتطور والتأثر بالاعتبارات التاريخية ، وله بعض التشكيكات في ثبوت القرآن والسنة وحجيتهما ،

وفي مناهج الاستدلال التراثية . وهو من أكبر الكتّاب الذين منحتهم الصحافة لقب المفكر الإسلامي الكبير .

الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي

الشاعر والكاتب والمفكر **عبد الرحمن الشرقاوي** ، ولد سنة **١٩٢٠** بشبين الكوم - مصر - وتخرج من حقوق القاهرة سنة **١٩٤٣** ، وعمل محاميًا ومفتشًا للتحقيقات ، ثم تفرغ للعمل الأدبي . واشتغل سنة **١٩٤٥** رئيسًا لتحرير مجلة الطليعة ، وشارك في إصدار مجلة الغد الجديد سنة **١٩٥٢** . وعمل رئيسًا لمجلة إدارة روز اليوسف من ٧١ - ١٩٧٧ م ، ثم سكرتيرًا للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية حتى **١٩٧٩** . ثم تفرغ بعدها للكتابة في الأهرام .

قدم العديد من الأعمال الروائية والشعرية ومنها : (الأرض ، الحسين شهيدًا ، علي إمام المتقين) وقد حصل سنة ٧٤ على جائزة الدولة التقديرية في الآداب ، وسنة **١٩٧٥** على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى .

مال إلى الاشتراكية الماركسية أوائل الستينيات ثم اتجه للإسلام يدرسه ليسقط عليه وعلى تاريخه الكثير من المعايير الماركسية . وهو يرى أن الحركات الأصولية التي ظهرت حديثًا ما هي إلا نتيجة الحرمان الاجتماعي والتفرقة والتفاوت بين الطبقات . وأن التطرف تعود أسبابه للتفاوت الطبقي بعد أن لم يعد عرق الجبين وكد اليمين طريق الرخاء ومقياس الثراء .

ويرى أن التعاملات المصرفية كلها حلال ، وأن الاستفادة من الفائدة عمل مشروع ، وليس ربا ، لأنه لا يتعارض مع أحكام الشريعة . ويرى في هذا التعليل ما يزيد الشريعة شمولية ومواكبة للعصر (رأيهم في الإسلام : ٦٤ وما بعدها) .

ويرى أن النبي ﷺ هدم الأصنام ليس لسبب شرعي عقيدي بل لسبب مادي ، ليقطع الطريق على التجار والمرابين ، ويرى أن الصحابة كانوا أميل لتطبيق الاشتراكية الماركسية وأن عمر وعثمان وعليًّا اتفقوا على أن يعيدوا توزيع الثروة على المسلمين . وذهب إلى أنه إذا كان في الأمة أصحاب حاجة فليس من

حق أحد أن يقتني فوق ما يحتاج إليه . ويتهم الصحابة في نياتهم مركّزًا على عائشة رضي الله عنها ، ويشير إلى انتقاص حق علي في الخلافة .

وقد رد عليه في مقالاته عن علي إمام المتقين رضي الله عنه عدد من المفكرين وعلماء الشريعة كالأستاذ ثروت أباظة (الأهرام ٢ / ١٠ / ١٩٨٣ ـ شيوعية وإسلام لا يلتقيان) والأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين (الراية ١٩ صفر ١٤٠٤هـ) الـذي وصف كلامه عن عائشة رضي الله عنها بأنه رجم بالغيب ورمي بالشبهة واتهام بالظنة وجري وراء حكايات أكثرها أكاذيب وأباطيل ، ورد عليه القاضي الشيخ العماري في كتابه (من أجل الإسلام) فارجع إليه .

الدكتور محمد أحمد خلف الله

من أركـان الفكـر القـومي المتـطرف ، الذي يعتمد المعايير الماركسية أسسًا وضوابط له . له في كل فترة من الزمن فرقعة ذات دوي ، بدأ بإثارة الغبار على قداسة القرآن الكريم وقطعية ثبوته ، وذهب إلى أن الإسلام دين عربي لا يعدو جنسًا معينًا من البشر ، ولا يجوز اعتباره رسالة للعالمين ـ المسلمون ـ ويرى أنه لا مانع من تزويج المسلمة بالنصراني واليهودي إذ لا يوجد نص قرآني مانع من ذلك في رأيه (المسلمون فبراير ٩١) ويفرق بين الدين والشريعة (العربي ٣٠٧) ويرى أن المعايير الإسلامية قاصرة لا تصلح لهذا الزمان (فلقد فعل الزمن فعلته في المعايير القـديمة فعلاها الصدأ وتآكلت منها الجوانب ، وخفّت موازينها إلى الحد الذي أصبحت فيه عاجزة عن أن تكون أداة من أدوات الحق والعدل (الطليعة نوفمبر ١٩٧٥) . وهـو الـذي ذهب إلى أن شرع المتقـدمين علينا «حضاريًّا» شرع لنا (الطليعة ، مايو ١٩٧٦) .

ويغلو في إعلاء العقل على النص حتى يقرر أن البشرية ليست في حاجة إلى من يتولى قيادتها في الأرض باسم السماء (لأنها بلغت سن الرشد وآن لها أن تباشر شؤونها بنفسهـا) الـطليعة : نوفمبر ١٩٧٥ ـ ويرى تقديم المصلحة على النص مطلقًا ، سيرًا على منهج الطوفي ، وقد رد عليه عدد من العلماء في هذا الموضوع

كالدكتور البوطي في مجلة الأمة .

وقد بدأت جولات الدكتور **خلف الله** في الطعن والتزييف مع إصداره أطروحة للدكتوراه سنة **١٩٤٧** عن القصص الفني في القرآن أحدثت موجة من الاستهجان والاستنكار ، ونقدها عدد من المفكرين كالأستاذ أحمد أمين وعبد المتعال الصعيدي وعبد الفتاح بدوي ومحمد أحمد الغمراوي والشيخ شلتوت ومحب الدين الخطيب (وقد طلب السيد عبد الرزاق السنهوري ـ وزير المعارف آنذاك ـ إلى الشيخ شلتوت فحص الأطروحة وكتابة تقرير عنها ، فإذا بهذا التقرير يدفعها بالنكر والجهل والفساد لأنها قامت على أسس فاسدة ولأنها غارقة في تكذيب القرآن ، ولأن كاتبها جاهل لا يفهم النصوص ، وختم تقريره بأن تطهر الجامعة من هذه الدراسة التي تنافي الحرية العلمية وتنتهي إلى الفوضى وتهدم الأصول الإسلامية ، كما أفتى أكثر من مائة عالم أزهري في طائفة كثيرة من نصوص هذه الرسالة بأنها مكفرة يخرج بها صاحبها عن الدين الإسلامي) أنور الجندي ـ مؤلفات في الميزان : ٧٢ .

كما جاء في تقرير الفاحصين للرسالة من أساتذة الجامعة ومن الأزهر ـ الشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور زكي حسن والدكتور الشرقاوي ـ أن أساس الرسالة أن القصص في القرآن عمل فني خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام الصدق التاريخي والواقعية ، كما قال عنه الأستاذ أحمد أمين إنه بتناوله لهذا الموضوع ضل الصواب وخبط خبط عشواء وإن القرآن أجلّ من أن يتناول بمثل علمه العاجز ، وأخطر من أن يحكم في مسائله من لا يزال يجهل تعريف التناقض (السابق : ٦٦ ـ ٦٧) .



المَراجِعُ

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ ابن تيمية ـ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ـ تحقيق د . ناصر العقل ـ ط : ١ ، ١٤٠٤هـ

٣ ـ ابن الجوزي ـ صيد الخاطر ـ تحقيق محمد عبد الرحمن عوض ـ دار الكتاب العربي ، ط : ٢ ، ١٩٨٧م

٤ ـ ابن العبري ـ تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، ١٩٨٣ ، دار الرائد اللبناني .

٥ ـ ابن منظور ـ لسان العرب ، ط : دار لسان العرب .

٦ ـ أبو الحسن الندوي ـ بين الدين والمدنية ـ مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١م

٧ ـ أحمد إبراهيم عيسى ، شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، ج: ٢ ، ط: المكتب الإسلامي ، ١٣٩٤ هـ

٨ ـ أحمد بن حجر آل بوطامي ، إعانة القريب المجيب في اختصار الترغيب والترهيب ، ط٠ ١ ، ١٩٨٦م

٩ ـ د . أحمد عبد الرحمن ، أساطير المعاصرين ، ط : ١ ، ١٤٠٩ ، بيت الحكمة .

١٠ ـ إسماعيل الكيلاني ، الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي ، ط : الدوحة .

١١ ـ أنور الجندي ، إطار إسلامي للفكر المعاصر ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨٠م

١٢ ـ أنور الجندي ، قضايا العصر ومشكلات الفكر ، الرسالة ، ط: ٢ ، ١٩٨٤م

١٣ ـ أنور الجندي ، مؤلفات في الميزان ، ط: منار الإسلام .

١٤ ـ جمال سلطان ، أزمة الحوار الديني ، ط : ١ ، ١٩٩٠ ، مكتبة السنة .

١٥ ـ جمال سلطان ، غزو من الدخل ، الزهراء للإعلام العربي ، ط٠ ١ ، ١٩٨٨م

١٦ ـ جودت سعيد ، حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ط : ٦ ، ١٩٨٤ ، مطبعة زيد بن ثابت .

١٧ ـ حسين أحمد أمين ، دليل المسلم الحزين ، مدبولي ، ١٩٨٧م

١٨ ـ حسين أحمد أمين ، حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة ، مدبولي ، ١٩٨٧م
١٩ ـ د. رشدي فكار ، محاضرة صوتية بالدوحة ألقاها نحو سنة ١٩٨٥م بعنوان : تراثنا الفكري وتراث الآخرين .
٢٠ ـ رضوان محمد رضوان ، تحقيق رياض الصالحين ، دار الكتاب العربي ، ١٩٧٣م
٢١ ـ د . زكي نجيب محمود ، تجديد العقل العربي ، ط : الشروق ، ١٩٧١ .
٢٢ ـ د. زكي نجيب محمود ، هذا العضر وثقافته .
٢٣ ـ د. سلمان العودة ، حوار هادىء مع محمد الغزالي ، ط ١٠ ، ١٤٠٩هـ
٢٤ ـ الشهيد سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي .
٢٥ ـ د. صلاح الدين المنجد ، الإسلام والعقل ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط : ٢ ، ١٩٧٦م
٢٦ ـ د . طه جابر العلواني ، أدب الاختلاف في الإسلام ، كتاب الأمة التاسع ، ١٤٠٥ ، ط : ١ ، الدوحة .
٢٧ ـ عبد السلام البسيوني ، اليسار الإسلامي ، ط: ١ الدوحة ، مكتبة الأقصى .
٢٨ ـ عبد السلام البسيوني ـ في فقه الواقع ـ ط . السنة ـ القاهرة ١٩٩١م .
٢٩ ـ عباس العقاد ، التفكير فريضة إسلامية .
٣٠ ـ د . عبد العال سالم مكرم ، الفكر الإسلامي بين العقل والوحي ، الشروق ، ط : ١ ، ١٩٨٢م
٣١ ـ د . عبد العظيم الديب ، المستشرقون والتراث ، حولية كلية الشريعة ، قطر ، ١٩٨٥م
٣٢ ـ الشيخ عبد الرحمن الوكيل ، هذه هي الصوفية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : ٤ ، ١٩٨٤م
٣٣ ـ د . عبد المجيد عبد السلام المحتسب ، ثلاثة كتب في ميزان الإسلام ، إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٩م
٣٤ ـ عبد الوارث سعيد ، الأصولية في الوطن العربي ، دار الوفاء ، ط: ٢ ، بيروت .
٣٥ ـ عزيز السيد جاسم ، حق المرأة بين مشكلات التخلف الاجتماعي ومتطلبات الحياة الجديدة ، ط: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيورت ، ١٩٨٠م
٣٦ ـ د . فهد الرومي ، منهج المدرسة العقلية في التفسير ، مؤسسة الرسالة ، ط : ٣ ، ١٤٠٧هـ

٣٧ ـ د . فهمي الشناوي ، نحو إسلام سياسي ، المختار الإسلامي ، ١٩٨٥م
٣٨ ـ فهمي هويدي ، تزييف الوعي ، ط : ١ الشروق ، ١٤٠٧هـ
٣٩ ـ لوك باربولسكي وفيليب كاردينال : رأيهم في الإسلام ، دار الساقي .
٤٠ ـ محمد سعيد العشماوي ، الإسلام السياسي ، ط : ١ ، ١٩٨٧ ، دار سينا ، القاهرة .
٤١ ـ د . محمد عركون ، الفكر العربي ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ط : ٣ ، ١٩٨٥م
٤٢ ـ د. محمد عمارة ، تحديات لها تاريخ ، ط : ٢ ، ١٩٨٨م ، المؤسسة العربية .
٤٣ ـ د. محمد عمارة ، دراسات في الوعي بالتاريخ ، دار الوحدة ، ١٩٨١م .
٤٤ ـ د. محمد عمارة ، الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري ، دار المستقبل العربي ، ١٩٨٥م .
٤٥ ـ د. محمد عمارة ، العلمانية ونهضتنا الحديثة ، الشروق ، ط : ١ ، ١٩٨٦م
٤٦ ـ الشيخ محمد الغزالي ، مستقبل الإسلام خارج أرضه ، الشرق للنشر والترجمة ، الدوحة ، ط : ١ ، ١٩٨٤م
٤٧ ـ الشيخ محمد الغزالي ، السنة النبوية ـ بين أهل الفقه وأهل الحديث ـ ط : ١ ، الشروق ، ١٩٨٩م
٤٨ ـ محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ط : دار الكتب المصرية ، ١٣٦٤هـ
٤٩ ـ محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ـ الشروق ، ١٩٨٣م
٥٠ ـ محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مؤسسة المدينة للصحافة ، ط : ١ ، ١٩٨٧م
٥١ ـ المحدث محمد ناصر الدين الألباني ، صفة صلاة النبي ﷺ ، المكتب الإسلامي ، ط : ١١ ، ١٩٨٣م
٥٢ ـ د. محمود حمدي زقزوق ، دور الإسلام في تطوير الفكر الفلسفي ، حولية كلية الشريعة ، ٣: قطر .
٥٣ ـ د. مصطفى السباعي ، السنة ومكانتها في التشريع ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨٢م
٥٤ ـ مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، الرسالة ، بيروت ، ط : ٥ ، ١٩٧٨م
٥٥ ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، أصول الحوار ، ط : ٣ ، ١٩٨٨م
٥٦ ـ يوسف خياط ، معجم المصطلحات العلمية والفنية ، دار لسان العرب ، بيروت
٥٧ ـ د. يوسف القرضاوي ، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ، ط : ١ ، دار القلم ،

١٩٨٥م
٥٨ ـ د . يوسف القرضاوي ، ثقافة الداعية، ط . دار الرسالة .
٥٩ ـ يوسف كمال ، العصريون : معتزلة اليوم ، دار الوفاء ، **١٩٨٦م**
٦٠ ـ جرائد ومجلات ، الشرق ، العرب ، الراية ، العربي ، المسلمون ، الهدى ، منار الإسلام ـ أعداد متفرقة .

كتب للمؤلف

١ ـ في فقه الواقع : خطاب إلى الإسلاميين .
٢ ـ اليسار الإسلامي : خنجر في ظهر الإسلام .
٣ ـ التلفزيون : السم اللذيذ .
٤ ـ حرية الرأي بين الإسلام والقوانين الوضعية .
٥ ـ العقلانية : هداية أم غواية .
٦ ـ الذئبة التائبة «ديوان شعر» .

تحت الطبع :

٧ ـ خواطر منافق «مسرحية شعرية» .
٨ ـ مناهج جديدة لطرح العقيدة .
٩ ـ الشعر المعاصر بين الطهارة والقذارة .
١٠ ـ مكانك تحمدي : خطاب إلى المرأة المسلمة .

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٧٧٣ / ١٩٩١

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-15-0047-3

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN

هذا الكتاب

* استخدم أهل الغش الفكرى مصطلحات ظاهرها فيه الرحمة ، وباطنها من قبله العذاب ، فرأينا من يتحدث عن الإسلام الاشتراكى ، والإسلام الديمقراطى - بل والإسلام اليسارى !! - ليبتلع الطعم كثير من الطِّيبين ويصيروا دعاة له ، دون انتباه إلى أن هذه الألفاظ البراقة عدوٌّ للإسلام على طول الخط .

* وآخرة هذه التلفيقات : الدعوة إلى الإسلام العقلانى ، على يد طغمة من المستغربين ، يحاولون أن يناجشوا بها أهل الفكر الإسلامى ، وغرضهم من ذلك أن يحل العقل محل النص ، وأن يقوم هوى الإنسان مقام هدى الرحمن ، وأن تكون النظريات البشرية حاكمة على القطعيات الربانية !!

* وهذا ما دعا المؤلف - فى هذه المحاولة - إلى أن يبين معنى العقلانية فى الإسلام ، وأن يستشف خصائص العقل الإسلامى من خلال فكر الأئمة المرضيين الذين تلقتهم الأمة بالقبول ، كما عرض لبعض طروحات العقلانيين ومقاصدهم ، لعل هذا يكون نذيرا ينبه إلى شىء من مكامن الخطر .

وبالله التوفيق ،،

توزيع



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت: ٣٤٧٤٢٣ ص . ب : ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004